

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

مادة الدعوات الإصلاحية ٤٣١

انتساب

أ. فيصل محمد حسن

السمات العامة بنجد وقت ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

لقد اتسمت البيئة العامة في نجد التي ظهرت فيها دعوة الإمام بسمات خاصة كان لها أكبر الأثر في مسار الدعوة منها :

الوضع الاجتماعي والأمني :

غلبة السمة القروية والبدوية عليها ، ففي نجد عدد كبير من القرى والواحات ، ويقطنها عدد أكبر من القبائل التي تعيش في البادية ، وليس بين الحاضرة والبادية وئام ، وكان العداء والتنافر سائداً بينهم ؛ لعدم وجود السلطان الذي يجمع الشمل ويحفظ الأمن ، وقيم العدل ، كانت العلاقات بين البادية والحاضرة في عداء مستمر وسلب ونهب وقتال غالباً ، بل وكذلك الحال بين قرى الحاضرة نفسها ، حيث تسودها المنافرة والتشتت والحروب ، وكذلك الحياة بين القبائل البدوية تسودها الفوضى والعصية والحمية الجاهلية ، والقتال والسلب والنهب ، وتحكمها الأعراف والعادات الجاهلية .

تبعاً لذلك نرى نجد في عهد قيام الدعوة مشتتة ومقسمة إلى إمارات ومشيخات صغيرة ومتناحرة . حتى وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتنازعها عدة زعامات ! ويكثر بينها التنافر والظلم والجور .

الوضع الديني :

كما ساد بينهم - من الناحية الدينية - الجهل والإعراض وشيوع البدع ، فكان التصوف البدعي سائداً ، بما فيه التصوف الغالي ، كمذهب ابن عربي وابن الفارض ، والتصوف حيثما حل حلت الخرافة ، وساد الجهل ، وانتشرت البدع والخرافات والشركيات وشاعت المنكرات .

وإن كان يوجد - في الحاضرة - شيء من العلم الشرعي والعلماء ، وقليل من التعليم (قراءة وكتابة) ، ولكن كانت اهتمامات العلماء مقصورة على الفقه غالباً ، أما عنايتهم بالعقيدة والحديث والتفسير واللغة فهي قليلة ، وكما أن جهود العلماء أمام البدع والمنكرات ضعيفة .

وقد بين الشيخ الإمام في إحدى رسائله هذه الأوضاع قائلاً : " وعرفت ما عليه الناس من الجهل والغفلة والإعراض عما خُلِقوا له ، وعرفت ما هم عليه من دين الجاهلية ، وما معهم من الدين النبوي ، وعرفت أنهم بنوا دينهم على

ألفاظ وأفعال أدركوا عليها أسلافهم ، نشأ عليها الصغير ، وهرم عليها الكبير " (١) . إلى أن قال : " فانظر يا رجل حالك وحال أهل هذا الزمان ، أخذوا دينهم عن آبائهم ودانوا بالعرف والعادة " (٢) .

وهذا عن الحاضرة ، أما البادية فقد ذكر ابن غنام وغيره ، أنهم : لا يعرفون الدين ولا يقيمون شعائره ، وكثيرون منهم يجحدون ، أو يجهلون الإيمان بالبعث (٣) .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/١ ، ٣) .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/١) .

(٣) انظر : تاريخ نجد لابن غنام ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد (١٢٧/١ ، ١٤٤) .

حال العالم الإسلامي أثناء قيام الدعوة

لم تكن نجد بأسوأ حالاً من كثير من البلاد الإسلامية الأخرى ، فقد كان العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري الذي نشأ فيه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب يعيش أوضاعاً سيئة للغاية من جميع الجوانب ، الدينية والدينية .

وكان الإسلام قد عاد غريباً كما أخبر بذلك النبي ﷺ قال : { بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغريباء } (١) (٢) .

وتتجلى غربة الإسلام بمظاهر كثيرة سائدة منها :

- ١- كثرة البدع والمحدثات ، والأهواء والفرق والطرق .
- ٢- غربة أهل السنة المستمسكين بالحق ، والمجانبيين للبدع .
- ٣- وغلبة الجهل على عامة المسلمين ، لا سيما الجهل بالعقيدة ، ومهمات الأحكام .
- ٤- إعراض كثير من الناس عن الدين ، لا يتعلمونه ، ولا يعملون به ، إلا ما يوافق الأهواء .
- ٥- شيوع التقليد الأعمى والتعصب المذهبي المقيت ، إلى أن وصل الحال في المسجد الحرام وقبلة المسلمين أن افترق المسلمون في صلاة الجماعة ، فصار أتباع كل مذهب يصلون وحدهم . وضعفت الدولة والسلطان ، وأصبح غالب الناس فوضى لا سراة لهم ، يسودهم السفلة والطمع ، وأهل الأطماع والشهوات .
- وأعرض الناس عن السنة وقل أهلها ، وعاشوا حال الغربة ، واستحكمت البدع وأهلها ، وزالت مظاهر القوة والعزة والجماعة .

وتفرقت الأمة إلى أشلاء من الفرق المتفرقة ، والطرق المبتدعة ، والشعوب المتنافرة ، والبلدان المتقاطعة .

مما أدى إلى استحكام العدو بالمسلمين ، وتمكنه من تحقيق أغراضه في غزو عقائدهم وعقولهم وأفكارهم وديارهم ، وتحكمه في مصالحهم وأحوالهم .

(١) مسلم الإيمان (١٤٥) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٦) ، أحمد (٣٨٩/٢) .

(٢) رواه مسلم برقم (١٣٠) .

وأعظم بلاء المسلمين آنذاك وأخطره: إخلالهم بحق الله تعالى ، حيث لم يخلصوا له العبادة ، وكثر لدى الغالبية منهم التعلق بغير الله في الدعاء والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر لغير الله ، وكثرت عندهم الشركيات والبدعيات ووسائلها ، من القباب على القبور والمشاهد وتعظيم الأشجار والأحجار ، وتقديس الأشخاص الأموات والأحياء .
مما جعل الأمة تصاب بجياة الذلة والهوان والشتات ، مما مكَّن للأعداء المحتلين من انتهاك أكثر بلاد المسلمين .

حال نجد وما حولها يقتضي ضرورة قيام الدعوة

وليس أصدق في وصف حال نجد وما حولها من أهلها لا سيما العلماء والباحثين الذين عنوا بهذا الأمر ، وعلى رأسهم إمام الدعوة الذي أعلن دعوته الإصلاحية من هذا المنطلق - أعني تشخيص الأمراض التي يعيشها المجتمع النجدي وسائر الأمة - فقد وصف الإمام نفسه الواقع الذي يعيشه كثير من المسلمين في نجد وغيرها ، وما شاع بينهم من بدع وخرافات ومظالم وجهالات ، وكان هذا الواقع هو السبب والباعث لقيام الإمام بدعوته الإصلاحية ، وكثيراً ما كان يخاطب الناس من هذا المنطلق ، فقال محاوراً لمخالفيه ومبيناً لهم وجود عظام المخالفات قال :

منها (١) - وهو أعظمها - عبادة الأصنام عندكم ، من بشر وحجر ؛ هذا يذبح له ؛ وهذا ينذر له ؛ وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللففات ؛ وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ؛ وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله !

فإن كنتم تزعمون : أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن ، فهذا من العجب ؛ فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك ، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود ، من إيمانهم بالجبوت والطاغوت ؛ وإن ادعيتهم أنكم لا تقدرون على ذلك ، فإن لم تقدروا على الكل ، قدرتم على البعض ؛ كيف وبعض الذين أنكروا عليّ هذا الأمر ، وادّعوا أنهم من أهل العلم ، ملتبسون بالشرك الأكبر ، ويدعون إليه ، ولو يسمعون إنساناً يجرّد التوحيد ، لرموه بالكفر والفسوق ؛ ولكن نعوذ بالله من رضى الناس بسخط الله .

ومنها (٢) : ما يفعله كثير من أتباع إبليس ، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان ، ممن ينتسب إلى الفقر ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس ، ويشبهون بمعجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل ؛ والصد عن سبيل الله ، حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم : أنه من العلم الموروث عن الأنبياء ، من علم الأسماء ، وهو من الجبوت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ { لتتبعن سنن من كان قبلكم } (١) (٢) .

ومنها (٣) : هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد ، وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع ؛ إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسوله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم ؛ فإن عاند دعوته إلى مباحلة ، كما دعا إليها ابن

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه .

عباس في بعض مسائل الفرائض ، وكما دعا إليها سفيان ، والأوزاعي ، في مسألة رفع اليدين ، وغيرهما من أهل العلم ؛ والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم " (١) .

وقد شخّص أحد علماء الدعوة الواقع ووصف حال الأمة أثناء ظهور الدعوة وقبلها في بلدان نجد وكذلك في أكثر البلاد الإسلامية المجاورة ، وهو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إذ يقول :

كان أهل عصره ومصره - يعني الإمام محمد - في تلك الأزمان ، قد اشتدت غربة الإسلام بينهم ، وعفت آثار الدين لديهم ، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية ، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية ، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان ، وغلب الجهل والتقليد ، والإعراض عن السنة والقرآن ، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان ، وهمم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد ، وأحاديث الكهان ، والطواغيت مقبولة ، قد خلعوا ربة الدين ، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة بغير الله ، والتعلق على غير الله ، من الأولياء ، والصالحين ، والأوثان ، والأصنام ، والشياطين .

وعلمائهم ، ورؤسائهم على ذلك ، وبه راضون ، قد أعشتمهم العوائد والمألوفات ، وحبستهم الشهوات عن الارتفاع إلى طلب الهدى ، من النصوص والآيات ، يحتجون بما رأوه من الآثار الموضوعات ، والحكايات المختلفة ، والمنامات ، كما يفعله أهل الجاهلية ، وكثير منهم يعتقد النفع والضرر ، في الأحجار ، والجمادات ، ويتبركون بالآثار ، والقبور { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٢) (سورة الأعراف ، الآية : ٣٣) .

فأما بلاد نجد : فقد بالغ الشيطان في كيدهم ، وكانوا يتتابون قبر زيد بن الخطاب ، ويدعونه رغبا ورهبا ، ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج ، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور ، وذلك كذب ظاهر وهتان .

وكذلك عندهم : نخل - فحّال - يتتابه النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال ؛ والمرأة : إذا تأخر عنها الزواج ، تذهب إليه ، فتضمه بيدها ، وتدعوه برجاء ، وتقول : يا فحل الفحول ، أريد زوجا قبل الحول ؛ وشجرة عندهم تسمى : الطرفية ، أغراهم الشيطان بها ، وأوحى إليهم التعلق عليها ، وأنها ترجى منها البركة ، ويعلقون عليها الخرق ، لعل الولد يسلم من السوء .

(١) الدرر السنية (١/٥٣ ، ٥٤) .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

وفي أسفل : بلدة الدرعية : مغارة في الجبل ، يزعمون أنها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى : بنت الأمير ، أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير ، فانفلق لها الغار ، كانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان .

وفي بلدتهم : رجل يدعى الولاية ، يسمى : تاج ؛ يتبركون به ، ويرجون منه العون ، ويرغبون فيما عنده من المدد - بزعمهم - ولديه ، فتخافه الحكام والظلمة ، ويزعمون أن له تصرفاً ، مع أنهم يحكون عنه الحكايات القبيحة الشنيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة ، وهكذا سائر بلاد نجد ، على ما وصفنا ، من الإعراض عن دين الله ، والجدد لأحكام الشريعة .

ومن العجب : أن هذه الاعتقادات الباطلة والعوائد والطرق قد فشت وعمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين ! فمن ذلك : ما يفعل عند قبر محبوب ، وقبة أبي طالب ، فيأتون قبره للاستغاثة عند نزول المصائب ، وكانوا له في غاية التعظيم ، فلو دخل سارق ، أو غاصب ، أو ظالم قبر أحدهما ، لم يتعرض له أحد ، لما يرون له من وجوب التعظيم .

ومن ذلك : ما يفعل عند قبر ميمونة ، أم المؤمنين - رضي الله عنها - في سرف ؛ وكذلك عند قبر خديجة - رضي الله عنها - يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عليه ، من مسلم يرجو الله ، والدار الآخرة ، وفيه : من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال ما لا يقدره أهل الإيمان ، وكذلك سائر القبور المعظمة ، في بلد الله الحرام : مكة المشرفة .

وفي الطائف ، قبر ابن عباس - رضي الله عنهما - يفعل عنده من الأمور الشركية التي تنكرها قلوب عباد الله المخلصين ، وتردها الآيات القرآنية ، وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها : وقوف السائل عند القبر ، متضرعاً مستغيثاً ، مستكيناً ، مستعيناً ، وصرف خالص المحبة ، التي هي محبة العبودية ، والنذر ، والذبح لمن تحت ذاك المشهد ، والبنية .

وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالأسواق : اليوم على الله وعليك يا ابن عباس ، فيستمدون منه الرزق ، والغوث ، وكشف الضر ، وذكر محمد بن الحسين النعمي الزبيدي - رحمه الله - : أن رجلاً رأى ما يفعل أهل الطائف ، من الشعب الشركية ، والوظايف ، فقال : أهل الطائف لا يعرفون الله ، إنما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح للعلم : معرفتهم لابن عباس كافية ؛ لأنه يعرف الله .

فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والغلو ، ووازن بينه وبين قوله { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } ^(١) (سورة البقرة ، من الآية : ١٨٦) وقوله جل ذكره : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } ^(٢) (سورة الجن ، آية : ١٨) وقد { لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى ، باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد } ^(٣) ^(٤) يعبد الله فيها ، فكيف بمن عبد الصالحين ، ودعاهم مع الله ، والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم .

كذلك ما يفعل بالمدينة المشرفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، هو من هذا القبيل ، وفي بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده ، وهو : القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء ؛ وضعه لهم بعض الشياطين .

وكذلك مشهد العلوي ، بالغوا في تعظيمه ، وخوفه ، ورجائه ؛ وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند ، وغيرهم ، وذلك في سنة عشر ومائتين وألف ؛ فهرب إلى مشهد العلوي مستجيرًا ، ولائدًا به ، مستغيثًا ؛ فتركه أرباب الأموال ، ولم يجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذاك المشهد ، واجتمع طائفة من المعروفين ، واتفقوا على تنجيمه في مدة سنين ، فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين .

وأما بلاد : مصر ، وصعيدها ، وفيومها ، وأعمالها ، فقد جمعت من الأمور الشركية ، والعبادات الوثنية ، والدعاوى الفرعونية ما لا يتسع له كتاب ، لا سيما عند مشهد : أحمد البدوي ، وأمثاله من المعبودين ، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لأهلتهم ، ما لم ينقل مثله عن أحد من الفراعنة ، والنماردة .

وبعضهم يقول : يتصرف في الكون سبعة ؛ وبعضهم يقول : أربعة ؛ وبعضهم يقول : قطب يرجعون إليه ، وكثير منهم يرى الأمر شورى بين عدد ينتسبون إليه ؛ فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۗ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } ^(٥) (سورة الكهف ، من الآية : ٥)

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٢) سورة الجن آية : ١٨ .

(٣) البخاري الجناز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٤٦/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٣٠) ، أحمد برقم (٨٧٨٨) ، وقال المحققون : « إسناده صحيح على شرط الشيخين . »

(٥) سورة الكهف آية : ٥ .

وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات ، والفواحش ، والمفاسد ما لا يمكن حصره ، واعتمدوا في ذلك من الحكايات ، والخرافات ما لا يصدر عن له أدنى مسكة أو حظ من المعقولات ، فضلاً عن النصوص .

كذلك ما يفعل في بلدان : اليمن ، جار على تلك الطريق والسنن ؛ ففي : صنعاء ، وبرع ، والمخا ، وغيرها من تلك البلاد ما يتنزه العاقل عن ذكره .

وفي حضرموت ، والشجر ، وعدن ، ويافع ، ما تستك عن ذكره المسامع ، يقول قائلهم : شيء الله يا عيدروس ! شيء الله يا محيي النفوس ! .

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان ، وخلع ريقه الإيمان ما لا يخفى على أهل العلم ، كذلك رئيسهم المسمى بالسيد ، لقد أتوا من طاعته ، وتعظيمه ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والإسلام ، إلى عبادة الأوثان والأصنام اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(١) (سورة التوبة ، الآية : ٣١)

وكذلك ، حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام ، فيها من تلك المشاهد ، والنصب ، وهي تقارب ما ذكرنا من الكفریات ، والتلطخ بتلك الوثنية الشركية .

وكذلك : الموصل ، وبلاد الأكراد ، ظهر فيها من أصناف الشرك ، والفجور ، والفساد .

وفي العراق : من ذلك بحره المحيط ، وعندهم المشهد الحسيني قد اتخذه الرافضة وثناً ، بل رباً مدبراً ، وأعادوا به الجوسية ، وأحيوا به معاهد اللات والعزى ، وما كان عليه أهل الجاهلية . وكذلك : مشهد العباس ، ومشهد علي ، ومشهد أبي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر ؛ فإنهم قد افتتنوا بهذه المشاهد ، رافضتهم ، وسنيتهم ؛ لم يعرفوا ما وجب عليهم ، من حق الله الفرد ، الصمد ، الواحد .

ثم قال : « وهذه الحوادث والكفریات والبدع ، قد أنكرها أهل العلم والإيمان ، واشتد نكيرهم ، حتى حكموا على فاعلها بخلع ريقه الإسلام والإيمان ؛ ولكن لما كانت الغلبة للجهال ، انتقضت عرى الدين ، وساعدهم على ذلك من

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

قل حظه ونصيبه من الرؤساء ، والحكام ، والمتنسين من الجهّال ، فاتبعتهم العامة والجمهور ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة ، والمباينة لدين الله ، الذي اصطفاه لخاصته وأوليائه »^(١) .

إلى أن قال عن الإمام محمد بن عبد الوهاب : « وتصدى - رحمه الله - : للرد على من نكب عن هذا السبيل ، واتبع سبيل التحريف والتعطيل على اختلاف نحلهم وبدعهم وتشعب مقاتلتهم وطرقهم ، متبعًا - رحمه الله - ما مضى عليه السلف الصالح ، من أهل العلم والإيمان ، وما درج عليه القرون المفضلة بنص الحديث ، ولم يلتفت - رحمه الله - إلى ما عدا ذلك ، من قياس فلسفي ، أو تعطيل جهمي ، أو إلحاد حلولي ، أو اتحادي ، أو تأويل معتزلي ، أو أشعري ، فوضح معتقد السلف الصالح ، بعدما سفت عليه السوافي ، وذرت عليه الذواري ، وندر من يعرفه من أهل القرى والبوادي ، إلا ما كان مع العامة من أصل الفطرة ، فإنه قد يبقى ولو في زمن الغربة والفترة ، وتصدى أيضًا : للدعوة إلى ما يقتضيه هذا التوحيد ويستلزمه ، وهو : وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله »^(٢) .

وكذلك : قام بالنكير على أجلاف البوادي وأمراء القرى والنواحي ، فيما يتجاسرون عليه ، ويعفونه من قطع السبيل ، وسفك الدماء ، ونهب الأموال المعصومة ، حتى ظهر العدل واستقر ، وفشا الدين واستمر ، والتزمه كل من كانت عليه الولاية ، من البلاد النجدية ، وغيرها ، والحمد لله على ذلك ؛ والتذكير بهذا يدخل فيما امتن الله به على المؤمنين ، وذكرهم به من بعث الأنبياء والرسول^(٣) .

ويقول الشيخ إسماعيل الدهلوي في كتابه رسالة التوحيد في وصف حال المسلمين عمومًا وفي الهند بخاصة تحت عنوان : " استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس " يقول : « اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر ، وأصبح التوحيد الخالص غريبًا ، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك ، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به ، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد ، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث »^(٤) .

(١) الدرر السنوية (٣٧٨/١ ، ٣٨٧) (بتصرف واختصار يسير) .

(٢) الدرر السنوية (٤٥٤/١ ، ٤٥٥) .

(٣) الدرر السنوية (٤٥٤/١) باختصار .

(٤) رسالة التوحيد ص (٢٥) .

ثم قال تحت عنوان " مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة " : « ومن المشاهد اليوم أن كثيرًا من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء ، والأئمة والشهداء ، والملائكة ، والجنيات عند الشدائد ، فينادونها ، ويصرخون بأسمائها ، ويسألون منها قضاء الحاجات ، وتحقيق المطالب ، وينذرون لها ، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم ، وتقضي مآربهم ، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعًا في رد البلاء ، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي » (١) .

وبالجملة : فإن هذا الواقع المتردي وهذه الأسباب وغيرها كانت من الدوافع الطبيعية التي هي من سنن الله ، والدوافع الشرعية استجابة لأمر الله ، وقد استدعت (بالضرورة) قيام دعوة إصلاحية شاملة تقوم على تجديد الدين بإحياء ما اندرس منه ، وبإصلاح أحوال الأمة في سائر نواحي الحياة في العقيدة والعبادة والعلم والسلطة والاقتصاد والاجتماع ، وجماع ذلك كله (إخلاص العبادة لله وحده) والعمل بمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

فقامت هذه الدعوة الإصلاحية المباركة تحقيقًا لوعده الله تعالى بتجديد الدين ، ونصر المؤمنين ، وبقاء طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين إلى قيام الساعة .

ومن المعلوم والبدهي أن هذه الغاية العظمى لا يمكن أن تظهر في أرض الواقع ، ويكون بها الإصلاح المشروع المنشود إلا بالعلم والدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكفاح ، والجهاد والقتال والسلطان (الدولة) . وسائر الوسائل المشروعة ، والتي هي من ضروريات قيام أي مبدأ وكيان في كل أمة وكل مكان وزمان .

والكيان الذي يقوم على المنهج الرباني ، وميراث الأنبياء ، وسنة المصطفى ﷺ وسبيل السلف الصالح هو الأولى والأحق بأن يبرز ويظهر ، ويتحقق به للإسلام والمسلمين وللإنسانية جمعاء الأمل الذي تنشده في تحصيل السعادة ونشر العدل بشرع الله الحكيم الخبير .

ويقول محمد جلال كشك : " ودعوة التوحيد التي نادى بها الشيخ (٢) تقبلها العلماء في شتى بلدان العالم الإسلامي ، أو قل : لم يستطع أحد منهم أن يرفضها ، بل على العكس ركز خصومها على اتهامها بأنه « لا جديد فيها » واهتموا بمناقشة الشكليات ، وافتراء الاتهامات ، بينما أعلن أكثر من عالم وفقهه أو حتى مستشرق انطباقها على مبادئ الإسلام الصحيحة .

(١) رسالة التوحيد ص (٢٥ ، ٢٦) .

(٢) يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب .

فالدولة السعودية ، أو ثورة محمد بن عبد الوهاب كانت ضد التخلف العثماني ، كانت محاولة للإفلات من السفينة العثمانية الغارقة ، والتي لم يبق بها إلا طابور انكشاري يعترض طريق كل من يحاول سد خروق السفينة .

لم يحس أحد في القاهرة ولا مكة ولا حتى الأستانة بسقوط بخارى وسمرقند والقوقاز ، مع أنها أعرق في تاريخ الإسلام وحضارتها من بلجراد وسالونيك والأستانة ذاتها ، وشعوبها مسلمة مائة بالمائة منذ القرن الأول الهجري . . . ولكن هذه العواصم تنهت مذعورة على مدفعية الأساطيل الأوروبية عند الشواطئ العربية . . . وبدأ الحديث عن « انقلاب المطبوع » والبحث عن تفسير لظاهرة انتصار الكفار على المؤمنين أو اختلال الناموس كما قالوا ! .

وطرح السؤال بعنف : ما العمل ؟ كيف نواجه هذا التحدي ؟ وكانت أول إجابة طرحت في العالم العربي ، وما زالت آثارها حية إلى اليوم ، هي المنهج السعودي ، الذي طرحه " محمد بن عبد الوهاب " وتبناه " محمد بن سعود " وهو لا ينتصر آخر هذا الدين إلا بما انتصر به أوله .

فاجأ ابن عبد الوهاب الجميع بإعلان أنه لا خطأ في الناموس . . . لا خطأ في قوانين الكون ، فالكفار لم يهزموا المؤمنين ، بل هزموا كفارًا عادوا للشرك فحسروا الدين والدنيا!

فإن مظاهر الوثنية كانت قد تفشت في أنحاء العالم الإسلامي ، ليس فقط في الاعتقاد بالمشايخ والأولياء ، وأصحاب الطرق ، بل حتى في الاعتقاد ببركة أحجار وأشجار ، وكان في مصر شجرة اسمها « أم الشعور » يتبرك بها العامة ويعتقدون بوجود روح داخلها ، وكان العامة يعلقون قطعة من ثيابهم ، أو ثياب غرمائهم في مسامير بوابة المتولي ، طلبًا للمعاونة أو التنكيل بالخصوم . كما كان العامة في مصر يوجهون شكواويهم للإمام الشافعي المتوفي قبل أكثر من عشرة قرون ! ويعتقدون أنه يقرأها ، ويقضي فيها . . . فهو « قاضي الشريعة » كما يلقبه العامة في مصر (١) .

نسيبه :

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

مولده :

(١) السعوديون والحل الإسلامي لمحمد جلال كشك (٨٧ - ١٠٨) باختصار .

ولد سنة ١١١٥ هـ في العيينة

أبوه كان من علماء العيينة وفقهائها ، وجده سليمان قاضيها ..

حفظ القرآن الكريم قبل أن يتم العاشرة ، وكان سريع الحفظ والفهم .. وكان أول طلبه بعد القرآن الكريم الفقه الحنبلي ، كان كثير الاطلاع على التفسير ..

رحلاته : رحل إلى مكة حيث حج ثم سمع من علمائها .. من أشهرهم / عبد الله بن ابراهيم النجدي و محمد بن حياة سندي .. انتقل إلى المدينة بعد مكة ، وزار المدينة أكثر من ٣ مرات بعدها سافر إلى البصرة ، ومكث فيها عاماً ، ثم عاد إلى مكة ..

* قصد الشام ولم يقدر لعدم وجود النفقه الكافية ، فتوجه إلى حرملاء التي انتقل إليها والده بعد حصول نزاع بينه وبين أمير العيينة ، وكان ذلك عام ١١٣٩ هـ

* استقر في حرملاء واشتغل بالعلم والتعليم والدعوة ..

* مات والده ١١٥٣ هـ

حصل بينه وبين أهل حرملاء شر ، وأرادوا أن يفتكوا به ، فانتقل منها إلى العيينة واستقر بها ..

كان أميرها في ذلك الوقت عثمان بن معمر ، رحب بالشيخ وناصره ..

اتجه الشيخ مع ابن معمر إلى الجبيلة ، وهدموا قبة قبر زيد بن الخطاب

عَلِمَ أمير الأحساء سليمان الخالدي بأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ، فخاف أن يعظم أمر الشيخ ويزيل

سلطانه .. فكتب إلى عثمان بن معمر يأمره بقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو ان يقطع عنه الخراج ، فخاف

الأمير عثمان بن معمر من قطع الخراج ، فأمر الشيخ بالخروج من العيينة ..

★ خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة واتجه إلى الدرعية ونزل عند شخص يُقال له محمد بن سويلم العربي

★ ربح أمير الدرعية محمد بن سعود بالشيخ ، وعاهده على نصرته وبايعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب على
النصرة والبقاء في البلدة

★ أقام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدروس في العقائد والفقه والتفسير وغيرها من العلوم ، ونشر العلم في الدرعية
..

مرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بثلاث مراحل :

★ المرحلة الأولى :

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد بدأت في حريملاء ، فعندما وصل إلى حريملاء أخذ يجهر بدعوته وينكر ما
فعله الجهال من البدع والخرافات و الشركيات في الأقوال والأفعال ، ولكن والد الشيخ منعه من ذلك خوفاً عليه من
الثورة ، وفي تلك الفترة ألف الشيخ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، ثم بعد وفاة والده أعلن دعوته من
جديد لكنه لم يلبث أن قرر أن حريملاء لا تصلح لنشر الدعوة لعدم استتباب الأمن فيها فعزم على العودة إلى العيينة
وفيها انتقلت دعوته إلى المرحلة الثانية .

★ المرحلة الثانية :

المرحلة العملية في تطبيق مبادئ الدعوة وتمثل في أربعة أمور :

⇐ هدم القباب المقامة على القبور مثل قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة .

⇐ قطع الأشجار التي يتبرك بها العامة مثل شجرة الذيب في العيينة .

⇐ رجم الزانية التي جاءت إلى الشيخ وأقرت بالزنى ، وكان عثمان بن معمر أول من قام برجمها .

⇐ قطع يد السارق .

★ المرحلة الثالثة :

الجهاد في سبيل الله ، لحمل الناس على الحق وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة ، والعودة بالمسلمين إلى منهج الله .

أهداف دعوة الشيخ

تهدف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى :

↳ تصحيح العقيدة الإسلامية ، وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات .

↳ تهدف إلى العودة بالإسلام إلى ما كان عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصادر الدعوة

- القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، ومظهر اهتمام صاحب الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب به انه حفظه وهو لم يبلغ العاشرة ، وتقديره الكبير لكتاب الله عن طريق سرده لآيات من القرآن الكريم تؤيد أرائه ، وفي كتاب الشيخ " أصول الإيمان " يعقد فيه فصلاً بعنوان الوصية بكتاب الله ..

- السنة النبوية وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي فكما اهتم الشيخ منذ صغره بدراسة القرآن وحفظه ، فقد اهتم أيضاً بدراسة الحديث النبوي ، وفي كتابه " أصول الإيمان " بعنوان تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة ، ويظهر اهتمام الشيخ بالسنة في دعوته قيامه باختصار صحيح البخاري وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

- أثار السلف الصالح ، يهتم الشيخ وأتباعه بالآثار الصحيحة التي وردت عن سلف الأمة الإسلامية المشهود لهم بالصلاح والعلم وأهمهم طبقة التابعين وتابعيهم وخاصة الأئمة الأربعة ، كما تأثر الشيخ بثلاثة من علماء السلف الصالح تأثيراً كبيراً وهم : أحمد بن حنبل ، أحمد بن تيمية ، محمد بن القيم .

مؤلفاته :

(١) أما عن مؤلفاته فهي كثيرة جداً نذكر بعضاً منها، فقد قام بتأليف عدد من الكتب والرسائل، منها:

(٢) كتاب التوحيد: وهو من أشهر مؤلفاته ذكر فيه معتقده حول حقيقة التوحيد والشرك ومفاسده.

(٣) كتاب كشف الشبهات: ونستطيع أن نسميه تكملة لكتاب التوحيد، والحقيقة أن جميع كتبه تتعلق

بمحور واحد وهو التوحيد.

(٤) كتاب ثلاثة الأصول.

(٥) كتاب الأصول الثلاثة: وهي معرفة الرب، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة الرسول.

(٦) كتاب مختصر الإنصاف و الشرح الكبير..

(٧) كتاب مختصر زاد المعاد..

(٨) كتاب القواعد الأربع: حيث ذكر في هذه الرسالة اعتقاده في بعض مسائل التوحيد.

(٩) كتاب أصول الإيمان : وبين أبواب مختلفة من الإيمان بالأحاديث النبوية. ويظهر أن بعض أولاد الشيخ قد أضاف إليه.

(١٠) كتاب فضل الإسلام: وقد وضع فيه معتقده حول مفاصد البدع والشرك، وشروط الإسلام.

(١١) كتاب مسائل الجاهلية: وذكر فيه مئة وإحدى وثلاثين مسألة خالف الرسول صلى الله عليه وسلم فيها معتقدات أهل الجاهلية.

(١٢) كتاب السيرة: وهو ملخص من كتاب السيرة لابن هشام.

(١٣) كتاب المهدي النبوي: وهو ملخص لكتاب زاد المعاد لابن القيم.

(١٤) كتاب شروط الصلاة وأركانها: وقد شرحت هذه الرسالة شروط الصلاة وهي: الإسلام، والعقل، التميز، رفع الحدث وإزالة النجاسة، وستر العورة ودخول الوقت واستقبال القبلة، والنية، وذكرت أركان الصلاة وواجباتها.

(١٥) كتاب الكبائر: ذكر فيه جميع أقسام الكبائر، واحدة واحدة، مفصلة في أبواب، وقد دعمت الأبواب كلها بنصوص الكتاب والسنة.

(١٦) كتاب نصيحة المسلمين: وهذا كتاب مستقل قد جمع فيه أحاديث تتعلق بجميع نواحي التعليمات الإسلامية.

(١٧) كتاب تفسير الفاتحة: وهو تفسير موجز جداً لسورة الفاتحة.

(١٨) كتاب تفسير الشهادة: وهو تفسير لكلمة "لا إله إلا الله"، مع ذكر أهمية التوحيد.

(١٩) كتاب تفسير لبعض سور القرآن: وهي مجموعة لبعض تعليقاته على آيات وسور مختلفة من القرآن.

(٢٠) كتاب ستة مواضع من السيرة: وهي رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية، والمواضع الستة هي: ابتداء نزول الوحي، تعليم التوحيد والرد على الكفار، قصة تلك الغرانيق العلى، ختام أبي طالب، منافع الهجرة وعظاتها، قصة الارتداد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وله عدة رسائل صغيرة أخرى يوجد بعضها في كتاب روضة الأفكار المجلد الأول الفصل الثالث والرابع.

الشبه الموجهه من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب :-

أهم المزاعم والاتهامات التي أثارها الخصوم ضد الدعوة وإمامها

المبحث الأول تمهيد ويشمل:

* حقيقة الصراع بين الدعوة وخصومها.

* عدم التكافؤ المادي بين الدعوة وخصومها.

* حقيقة المفتريات والاتهامات ضد الدعوة.

حقيقة المفتريات والتهم ضد الدعوة:

- إن إحساس خصوم الدعوة بقوتها وسرعة تأثيرها، وعمق أثرها، واستجابة الناس لها، وما تملكه من الدليل والبرهان جعلهم يبادرون إلى مقاومتها والصد عنها بكل الوسائل. وكان أقوى سلاح رموها به: استعداد الآخرين عليها من القريبين والبعيدين، واستباحة الكذب والبهتان والتلبيس في نشر الدعاية ضدها.

- كما أن المفتريات التي أثرت حول الدعوة وإمامها وعلمائها ودعاتها ودولتها وأتباعها لا تصمد أمام التمحيص والموضوعية والبحث العلمي المتجرد.

- فهي تراكمات من الشائعات والأكاذيب والمفتريات والبهتان الذي لا يصبر عليه الموافق، ولا يقره المنصف، ولا يثبت أمام الدليل وينفيه الواقع فهو إما من الكذب والافتراء، والشتم واللمز.

- أو من اللوازم التي لا تلزم.

- أو من الحق الذي ألبس بالباطل.

-أو من زلات بعض المنتسبين للدعوة أو المنسوبين لها بغير حق.

-- أو من الحكم على الضمائر والقلوب مما لا يعلمه إلا علام الغيوب - ﷻ -.

أبرز المفتريات والتهم التي رميت بها الدعوة إجمالاً:

١. وصفهم بالوهابية .

٢. رميهم بالتجسيم .

٣. بهتانهم بالتنقص من حق النبي صلى الله عليه وسلم .

٤. اتهامهم بالتشدد .

٥. اتهامهم بالتكفير والقتال .

٦. دعوى معارضة علماء المسلمين لهم .

٧. دعوى مخالفة أكثرية المسلمين وأنهم (مذهب خامس).

٨. دعوى تحريم التوسل والشفاعة والتبرك مطلقاً .

* أبرز المفتريات والتهم التي رميت بها الدعوة وأتباعها إجمالاً^(١):

- وصفهم بالوهابية:

إن وصف خصوم الدعوة لها وإمامها وأتباعها بالأوصاف المشينة والألقاب الشنيعة، وإصاق التهم والمفتريات، والهمز واللمز والسخرية منهم ومن أقوالهم وأعمالهم. كل ذلك من الظلم والباطل وهو راجع إلى اختلال الموازين، وخلل المناهج لدى المخالفين والناقدين، فأكثر ما ذمهم به، أو أطلقوه عليهم من الأوصاف إن لم يكن من الكذب والبهتان وهو الغالب فهو من التلبيس والتضليل أو المبالغات، أو الجهل بالحق وأدلته.

تسميتها بالوهابية وبيان الحق في ذلك:

(١) نوقشت بعض هذه المفتريات والمزاعم وغيرها في الفصل الثاني من هذا البحث.

إطلاق (الوهابية) على هذه الدعوة الإصلاحية انطلق أولاً من الخصوم، وكانوا يطلقونه على سبيل التنفير واللمز والتعيير، ويزعمون أنه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس.

ولم يكن استعمال (الوهابية) مرضياً ولا شائعاً عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر السلفيين أهل السنة والجماعة، وكان كثير من المنصفين من غيرهم والمحايد يتفادى إطلاق هذه التسمية عليهم، لأنهم يعلمون أن وصفهم بالوهابية كان في ابتدائه وصفاً عدوانياً إنما يقصد به التشويه والتنفير وحجب الحقيقة عن الآخرين، والحيلولة بين هذه الدعوة المباركة وبين بقية المسلمين من العوام والجهلة وأتباع الفرق والطرق، بل وتضليل العلماء والمفكرين الذين لم يعرفوا حقيقة هذه الدعوة وواقعها.

ولقد صار لقب (الوهابية) وتسمية الحركة الإصلاحية السلفية الحديثة به هو السائد لدى الآخرين من الخصوم وبعض الأتباع والمؤيدين المحايدين (تنزلاً).

وهو الوصف الرائج عند الكثيرين من الكتّاب والمفكرين والمؤرخين والساسة، والمؤسسات العلمية، ووسائل الإعلام إلى يومنا هذا، بل تعدى الأمر إلى التوسع في إطلاق الوهابية على أشخاص وحركات منحرفة عن المنهج السليم، وتخالف ما عليه السلف الصالح وما قامت عليه هذه الدعوة المباركة، وهذا بسبب تراكمات الأكاذيب والأساطير التي نسجت حول الدعوة وأهلها بالباطل والبهتان.

أما أتباع هذه الحركة فهم لا يرون صواب هذه التسمية (الوهابية) ولا ما انطوت عليه من مغالطات وأوهام، لاعتبارات مقنعة كثيرة؛ شرعية وعلمية ومنهجية وموضوعية وواقعية، تتلخص فيما أشرت إليه في التعريف من أنها تمثل تماماً الإسلام الحق الذي جاء به النبي ﷺ ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيل الهدى، وإذن فحصره تحت مسمى غير الإسلام والسنة خطأ فادح وبدعة محدثة ومردودة.

فالدارس لهذه الدعوة المباركة بإنصاف وموضوعية سيتوصل -حتماً- إلى أنها إنما تنادي بالرجوع إلى الإسلام الصافي، وأنها امتداد للدين الحق (عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) والمتمثل -بعد حدوث الافتراق في الأمة الإسلامية- بالتزام نهج النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام والتابعين ومن سلك سبيلهم وهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

وإذا كان الأمر كذلك؛ أعني أن الدعوة هي الإسلام والسنة التي جاء بها النبي ﷺ وما عليه سلف الأمة... فلا معنى لإفرادها باسم أو وصف (كالوهابية) أو غيره، لكن قد ترد على السنة علماء الدعوة ومؤيديها أو غيرهم بعض الأوصاف الشرعية الصحيحة لها أو لأتباعها والتي لا تتنافى مع رسالتها مثل: دعوة الشيخ: الدعوة، الدعوة

الإصلاحية، دعوة التوحيد، السلفية، وقد يوصف أهلها بالسلفيين والموحدين، وأهل التوحيد، وأهل السنة، والحنابلة، والنجديين. ونحو ذلك من الأوصاف الشرعية الحسنة، أو المقبولة.

- كما أنهم عند إطلاقهم لهذه التسمية إنما يقصدون أن دعوة الشيخ هي امتداد لحركة ظهرت قديماً في شمال أفريقية والمغرب يطلق عليها (الوهابية) و (الوهبية) على بعض فرق الخوارج القديمة .

فالوهابية: نسبة إلى عبد الوهاب الرستمي أحد زعماء الخوارج قديماً (الدولة الرستمية) والوهبية: نسبة إلى عبد الله بن وهب الواسبي أحد زعماء الخوارج الحرورية الأوائل. وكلاهما كانت قبل ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد وقع اللبس لدى كثيرين بهذا.

٢ . رميهم بالتجسيم:

ووصفهم بأنهم (مجسمة) لأنهم يثبتون الصفات لله تعالى كما جاءت في نصوص القرآن والسنة وكما أثبتها السلف الصالح، وهذا هو الحق لكن المخالفين صوروه بصورة الباطل لهؤلاء الخصوم على منحج الجهمية في التعطيل والتأويل، الذين يسمون الإثبات تجسيماً.

٣ . بهتانهم بتنقص النبي ﷺ وبغض الأولياء:

وبهتوهم بتنقص النبي ﷺ وبغضه، أو بغض الأولياء حين أنكروا بدع الموالد وإطراء النبي ﷺ، وحين أزالوا بدع القبور، ونهوا عن دعاء غير الله تعالى والحلف بغير الله ونحو ذلك، مما هو في حقيقة الأمر تعظيم لقدر النبي ﷺ وامتنال لسنته، وتكريم للأولياء والصالحين.

٤ . اتهامهم بالتشدد:

ورموهم بالترمت والتشدد حين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأقاموا شعائر الدين، لأن أهل الأهواء لا يريدون أن تنكر عليهم منكراتهم وبدعهم أو يُصَدُّون عن شهواتهم.

٥ . اتهامهم بالتكفير واستحلال القتال:

ولما ظلموهم وقتلواهم؛ هبوا للدفاع عن أنفسهم ودينهم ودولتهم وحقوقهم، إلى أن صار لهم كيان وقامت لهم دولة تنشر السنة، وتحارب الشركيات والبدع، وتنصر المسلمين وتقيم العدل، وتحكم بالشرع، بعد ذلك، اتهمهم خصومهم

بالقتال والتكفير والتشدد ونحو ذلك من الأوصاف التي هي إلى المدح والتزكية أقرب منها إلى الذم والتجريح؛ لأنهم حين قاتلوا ابتداء قاتلوا دفاعاً عن أنفسهم وعن دعوة الحق حتى صارت لهم دولة وكيان يحمون به حقوقهم ودينهم ومصالحهم.

وحين تمسكوا بالدين وأخذوا بالسنة فهذا أمر ممدوح وإن سماه خصومهم والجاهلون تشديداً. فالعبرة بالمضامين والحقائق لا بالألفاظ التي يتلاعب بها الشياطين.

٦. دعوى معارضة علماء المسلمين وعقلائهم لها:

ومما يثار على الدعوة من قبل خصومها والجاهلين بحقيقتها، أن بعض العلماء والصالحين، وبعض العقلاء الأقربين قد عارضوها، مع أن بعضهم كان قد وافق الإمام في أول دعوته، ثم عارضه أو تخلى عنه.

فأقول: أولاً ليس شرطاً في صحة الدعوة وسلامتها موافقة كل العلماء والأمراء والعقلاء والصالحين. فقد تصرفهم عنها الصوارف التي تعتري البشر، من الأهواء والحسد، والخوف، والشهوات، والشبهات، والتلبيس، والاجتهاد الخاطيء، وغيرها من الصوارف.

وثانياً: أن كثيرين من العلماء والصالحين والوجهاء والأمراء كانوا قد وافقوا الشيخ والإمام في أول دعوته، لكنها لما وصلت إلى مرحلة الصدع بالحق، ورفع الظلم والجهل والبدع والحزم والقوة، ولما رأوا الجد والتبعات التي تترتب على إعلان الحق والتصدي للباطل، تراجع بعضهم، وضعف آخرون، وتأثرت فئة ثالثة بالدعاية المضادة، واستجابات لضغوط الواقع، وإرجاف أهل الباطل، وسكت آخرون إيثاراً للعافية.

وظهرت ردود الأفعال قوية عنيفة فلم يستطع الثبات أمام عواصفها إلا أولوا العزم والصبر - وهم قليل - وتلك سنة الله في خلقه.

٧. دعوى مخالفتها لأكثرية المسلمين وأنها مذهب جديد (أو خامس):

وإن من أكثر ما يثار على الدعوة ومنهجها وإمامها دعوى أنها تخالف الأكثرية من المسلمين وأنها مذهب جديد أو خامس. وهذه دعوى لا اعتبار لها في ميزان الشرع والعقل السليم والواقع كما قال تعالى: **وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** [سورة الأنعام، آية: ١١٦].

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة^(١). كما أن اعتبار الأغلبية في الدين خلاف السنن التي قامت عليها دعوة الأنبياء والمصلحين، فالعبرة بسلوك السبيل الحق، المتمثل بالقرآن والسنة ونهج السلف الصالح، والحق والعدل فحسب دون اعتبار لعدد السالكين أو المهالكين.

كما أن الناظر في واقع المسلمين في العصور المتأخرة لا يجد للأكثرية مذهباً معيناً فقد تنازعتهم المذاهب والفرق والبدع والطرق والاتجاهات والشعارات والحزبيات، هذا مع ضرورة الاحتفاظ بقاعدة: « أن الحق ما وافق السنة والسلف الصالح وإن كنت وحدك » وأعني بذلك أنا لو افترضنا -جدلاً- أن المسلمين اجتمع أكثرهم على مذهب يخالف السنة، فلا عبرة بذلك شرعاً.

وقد اعتمد إمام الدعوة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رابع الأئمة الأربعة الذين ارتضتهم الأمة، ولم يأت بمذهب جديد كما زعموا.

٨. دعوى منع التبرك والتوسل والشفاعة مطلقاً:

لما نعى علماء الدعوة من التوسلات البدعية، والتبرك البدعي، وكذلك الشركيات والبدع التي يسميها أهل الأهواء شفاعاً، رموهم بأنهم يجرمون التوسل والتبرك والشفاعة مطلقاً. وهذا كذب وبهتان.

وقد بينت في موطن آخر من هذا البحث أن السلف الصالح أهل السنة والجماعة ومنهم أتباع هذه الدعوة يثبتون التبرك المشروع، والتوسل المشروع، والشفاعة الثابتة بمقتضى النصوص، ويدعون الله بذلك اعتقاداً وعملاً. لكنهم يحاربون البدع والشركيات في ذلك كله.

لماذا هذه المفتريات والتهم؟

عند التحقيق في دعاوى المناوئين وشائعات الخصوم، وغيرهم نجد أن الناس الذي ينقلون هذه الشائعات ويتداولونها ليس لديهم مستنداً علمياً على ما يشيعون أو يفترون، بل غالباً إنما ينقل بعضهم عن بعض، ويتداولون المقولات، ويزيدون عليها، فحين تظهر فرية تطير بها الشياطين في الآفاق حتى تتشعب وتزداد إلى أن تصبح من الأساطير والملاحم الكبرى التي قد تصل إلى كتب ومصنفات مصدرها الخيالات والأوهام والشائعات واللوازم التي لا أصل لها. والله حسبنا ونعم الوكيل. ومن أهم أسباب ذلك:

(١) الحديث سبق تخريجه.

١. الحسد والخوف على السلطان والمصالح:

ومما تجدر الإشارة إليه أن من أعظم ما استثار خصوم الدعوة سواء كانت خصومتهم مذهبية - وهو الغالب - وأعني بهم أهل الأهواء والبدع والافتراق - أو كانت خصومتهم دنيوية بسبب الحسد، أو الخوف على المصالح، أو من كانت خصومتهم سياسية، كل هؤلاء وغيرهم ممن عارضوا الدعوة ووقفوا ضدها، أو كرهوا ظهورها وانتشارها - إنما أزعجهم واستثارهم أن يكون للدعوة دولة وسلطان وإمارة وكيان سياسي، لا سيما وأن أول من احتضنها وهو الإمام محمد بن سعود وأحفاده كانت تتوفر فيهم صفات الزعامة والقيادة والسيادة، فكان ابن سعود يمتاز عن كثيرين ممن حوله بالدين والخلق والعدل والحنكة والحلم والصبر، وسداد الرأي، وسلامة المعتقد مما أكسبه السمعة الحسنة والذكر الطيب، وكثيرون من عقلاء الناس وساستهم يعرفون أن هذه هي مؤهلات التمكين والظهور بعد توفيق الله. ولا شك أن هذه المؤهلات القيادية أثارت غيرة الزعامات المجاورة وغير المجاورة وحسدتهم، وخوفهم على مراكزهم ومصالحهم، فكانوا في طليعة المناوئين للدعوة وإمامها وأميرها ودولتها.

وفي مقدمة هذا الصنف: المناوؤن الأوائل الذين وقفوا ضد الحركة الإصلاحية وأثاروا العالم حول إمامها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فإنهم حين رأوا الحزم والجد من قبل الشيخ في نشر دعوة التوحيد وإزالة البدع والمنكرات وإقامة الحدود، شرعوا في استعداد الناس عليه ليس في نجد فحسب، بل قام بعضهم بالمكاتبات والرسائل للعلماء والزعماء في سائر العالم الإسلامي، ولسلاطين الدولة العثمانية والأشراف.

وقام آخرون بالرحلات إلى مواطن البدع واستنهض همم أهلها، واستعداهم على الدعوة وإمامها وأتباعها.

ولعل من أكبر أسباب الدعاية المضادة للدعوة الإصلاحية السلفية، إزالتها للبدع الظاهرة والمنكرات المتفشية، فكلما وصلت إلى بلد أزال القباب والمشاهد على القبور وهدمت الأضرحة التي يتجاوز بناؤها السنة وأزال الأحجار والأشجار والمزارات البدعية، وأقامت الحدود، وقضت على المنكرات الظاهرة، وعلى كل مظاهر الدجل والسحر والشعوذة وأكل أموال الناس بالباطل وسائر المظالم.

وهذا مما لا شك فيه أنه سيثير حفيظة أهل الباطل والمنكر والبدع، ويوقع في نفوسهم الهلع، وتنقطع به منافعهم ومصالحهم، ومنافع كثير من المرتزقين بالبدع والمنكرات والدجل من زعماء وشيوخ وسدنة ومزورين وعاملين وغيرهم كثير من الخاصة والعامة.

وهذا من أكبر عوامل الإثارة ضد الدعوة وضد السنة إلى اليوم، لأنها تقضي على مظاهر الارتزاق بالشركيات والبدع والمنكرات وسائر أسباب الكسب الحرام، والجاه المشبوه، وتكشف لأعيب الدجالين والمتاجرين بالدين.

٢. اختلاف المناهج والمشارب:

ومما يحسن التنبيه له (وهو مهم جداً) في إعطاء التصور العلمي الحقيقي في مسألة النزاع بين الدعوة وخصومها وما يثيرونه حولها من شبهات ومزاعم وانتقادات.

ألا وهو اختلاف المناهج والمشارب، المتمثل بالاختلاف العقدي والمنهجي بين السنة وأهلها وبين البدعة وأهلها، فالإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وكل من نهج نهج السنة والجماعة وطريق السلف الصالح يقررون السنة وينصرونها، ويجانبون البدع ويجارونها.

فالحق الذي يقولونه (وهو بَيِّن) وأدلتهم من القرآن والسنة (وهي جليّة) غير معتمدة وغير مقبولة أصلاً عند أهل البدع لأنهم تقوم مناهجهم ومصادرهم وأدلتهم واستدلالاتهم على غير منهج الحق، بل تقوم مصادرهم على التلفيق، ومناهجهم على التحريف، واستدلالاتهم على التلبيس واتباع المتشابه كما قال الله سبحانه عنهم: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٠﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧٠].

وعليه: فلا نتوقع أن يكون الحق الذي يقول به أهل السنة عند أهل البدع مقبولاً. ولا نتوقع أن يكون النهج الذي عليه أهل السنة عند أهل البدع مرضياً. إلا من وفقه الله للتجرد للحق، (فليس كل أهل البدع يتعمدون الباطل لكنهم قد يجهلون الحق).

أو من كان عليه الأمر ملتبساً وهو يريد الحق أصلاً، فقد يرجع للحق إذا انكشف له الأمر.

أو من كان ضحية التضليل ودعاية السوء فتكشف له الحقيقة بعد البيان.

أو من كان محايداً يميل إلى العدل والإنصاف فينظر في دعاوى الطرفين. حتى يتبين له وجه الحق. إذاً فليس من شرط تحقيق الحق تسليم الخصم وإقراره به. ولكن: معذرة إلى ربكم ولعلمهم يرجعون.

٣. كشف العوار:

مما لا شك فيه أنه بظهور الحق ينكشف الباطل، وبطلوع الشمس تنجلي ظلمات الليل، وبشروع العلم يرتفع الجهل، وبإحياء السنن تموت البدع.

وهذا ما حصل فعلاً عندما قامت هذه الدعوة الإصلاحية المباركة، فقد كشفت عوار أهل البدع والأهواء والافتراق، وأظهرت جهلهم وزيفهم، حين قامت على الدليل (القرآن والسنة) واعتمدت منهج السلف الصالح، ونشرت العلم والسنة، وحاربت الشركيات والبدع والخرافة والجهل، ولذلك تداخوا عليها من كل مكان وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم ولا يزالون. لكنها لا تزال ولن تزال -بحول الله وقوته- ظاهرة بالحق منصوراً تحقيقاً لوعده الله تعالى وخبر رسوله ﷺ « لا تزال طائفة في أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »^(١).

(١) تقدم تخريجه.

دعوة إلى الإنصاف والموضوعية:

وإننا ندعو أولئك الذين يروجون هذه الاتهامات والدعاوى، والذين ينصرونها إلى التزوي والإنصاف والموضوعية، ومن القواعد والأسس العلمية والموضوعية، والقواعد الجلية التي ندعو إليها كل من يريد أن يحاكم هذه الدعوة وأهلها أو يقومها ويسددها، أو ينظر في حقيقة مقالات خصومها فيها ودعاواهم حولها إلى:

١. رد ما اختلف فيه خصوم الدعوة من المسلمين معها ومع أهلها إلى القاعدة المجمع عليها عند المسلمين وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [سورة النساء، آية: ٥٩] أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبالمنهج العلمي المعترف عند مجتهدى الأمة، وهذا هو المنهج الذي سلكه إمام الدعوة وعلمائها، فكانوا يعتمدون الدليل من القرآن والسنة وآثار سلف الأمة وأقوال علمائها كما سألينه في مناقشة دعاوى الخصوم تفصيلاً.

٢. أن يكون الحكم عليها من خلال منهجها المعلن، قولاً وعملاً واعتقاداً. من خلال منهج أئمتها وعلمائها ومؤلفاتهم ورسائلهم، وأقوالهم ومعاملاتهم التي عليها جملتهم.

٣. أن لا يحكم عليها من أقوال خصومها دون تثبت؛ لأن الدعوة، لها كيان وواقع ماثل للعيان في علمائها وأتباعها ودولتها ومجتمعها، وآثارها العلمية والعملية، مما يستدعى وجوب التثبت مما ينسب إليها الآخرون من أقوال وأفعال ومواقف، فإن أكثره عند التحقيق لا يثبت، وما ثبت له وجه من الحق والغدر.

٤. يجب أن تكون النظرة في الحكم على الدعوة شاملة من جميع الزوايا والجوانب في الاعتقاد والقول والعمل والتعامل. لا من زاوية واحدة، ولا من تصرفات وأعمال ومواقف شاذة أو فردية، أو زلات عارضة، فإن العبرة بالأصول والمنهج، لا بالمفردات والجزئيات.

٥. أن لا يحكم عليها بلوازم الأقوال والأفعال إلا حين تلتزمها، أو يثبت أن ذلك من منهجها بدليل قاطع.

٦. يجب النظر في دفاعها عن الحق الذي تعلنه، فقد دافعت الدعوة عن مبادئها؛ إمامها ودولتها وعلمائها وأتباعها ومؤيديها، والمنصفون من العلماء وغيرهم، كلهم تصدوا للدفاع بالدليل والحجة والبرهان.

٧. كما أن شهادات الآخرين لها بشتى أصنافهم - من المسلمين أو غيرهم - معتبرة وهي كثيرة ومتنوعة من المسلمين وغير المسلمين، ومن مختلف الطوائف والشعوب، من علماء ومفكرين وأدباء وسياسيين ونحوهم.

٨. ثم إنه ليس كل خلاف بين المتنازعين كأهل الدعوة وخصومهم - أو غيرهم - يكون معتبراً ويعتد به شرعاً وعقلاً. إنما العبرة بالموازن والقواعد الشرعية المستمدة من الأدلة الشرعية، (الوحي المعصوم)، وبالبراهين العقلية المتفق عليها عند العقلاء.

وهذا لا يمكن أن يكون عند المسلمين إلا بالرجوع إلى الكتاب وصحيح السنة على نهج السلف الصالح في التلقي والاستدلال، وفي العلم والعمل.

٩. يجب على الناقد والناظر في حقيقة هذه الدعوة أن يضع بعين الاعتبار أنها واجهت في الأمة أمراضاً مزمنة، ومعضلات كبرى، وأدواء مستعصية تحتاج في إصلاحها إلى دعوة قوية، وهمم عالية، ومنهج شامل، وتغيير جذري (هو تجديد السنة وإحياء ما أهمل منها، وحرب البدع ومظاهرها).

إن الدعوة واجهت قوى بدعية كبرى استشرت في جسم الأمة كالتصوف، والرفض، والتجهم، والمقابرية، والفرق المفترفة، والفلسفات، والشعوبية، والقبلية، والتقاليد والأعراف الموضوعية، والأطماع والشهوات والشبهات، والإعراض عن الدين، فمن هنا كانت ردود الأفعال والتحديات والمفتريات كبيرة كذلك.

١٠. كما ينبغي للباحث المنصف أن يضع في اعتباره كذلك، أن الدعوة تعرضت لمظالم كبرى. أولها الكذب والبهتان، والاستعداد الظالم، والإعلام المرجف، ثم المحاصرة الدينية والاقتصادية والسياسية من قبل الخصوم المجاورين والبعيدون. إلى أن وصل الحال إلى منع اتباعها من الحج ومنعهم بالقوة من إبلاغ الدعوة وإظهار شعائر الدين والتوحيد وقتل دعائهم وحبسهم وطردهم، بل وصل الأمر إلى تجييش الجيوش لقتالهم في دارهم وبلادهم الأولى (نجد).

١١. أن أكثر ما رميت به الدعوة من خصومها والجاهلين بحقيقتها من المفتريات، هي عند التحقيق العلمي المتجرد بريئة منه.

وحين نجد أنها بريئة منه؛ بالمقابل نجد أن هؤلاء الخصوم الذين بهتوها هم الواقعون بما افتروه على الدعوة، فهم كما يقال في المثل (رمتني بدائها وانسلت).

فالتكفير والتشدد والقتال، وتنقص حق الرسول ﷺ وإهانة الأولياء، والنصب والرفض، والتجسيم، والعدوان والظلم، والكذب والبهتان، والاستعداد والتضليل، وكل ذلك حاصل من أهل البدع والأهواء والافتراق من خصوم الدعوة - ضدها بمختلف طوائفهم وأصنافهم وأزمانهم.

١٢. أن في منهج إمام الدعوة وسيرته العلمية والعملية، وما كتبه وعمله هو وأتباعه من العلماء والحكام والمؤيدين، والمنصفين، في الدعوة وأصولها وآثارها، وفي الدين - ما يبطل دعاوى الخصوم ويفند شبهاتهم، ويكشف حقيقة مفترياتهم، وزيف دعاواهم.

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن المتأمل لمفتريات الخصوم يجد أنها مع توافر كتب الدعوة ورسائلها لا تستند إلى دليل، ولا نقل موثق، ولا إسناد صحيح. وغاية ما عند الخصوم: قيل وقالوا، ويقال.

وبالمقابل نجد كل دعوى وافتراء وبهتان قيلت عن الدعوة وإمامها وأهلها - قد ردها الإمام نفسه، وعلماء الدعوة وأنصارها، والمنصفون من غيرهم.

وكتبهم ورسائلهم وحواراتهم ومواقفهم كلها مسطورة منشورة، وكذلك مؤلفات المنصفين والمحايدين ومقالاتهم كثيرة موفورة، وما قد يوجد من نقول الخصوم عن علماء الدعوة - وهو قليل - فلا يسلم من عوارض الخطأ والانحراف في الاستدلال: من البتر، والتلبس، والخلل في النقل أو في الحكم، أو النزاع فيما لا يوافق عليه المنازع، أو اتهام النيات، أو الإلزام بما لا يلزم. ونحو ذلك مما تنطوي عليه مناهج المخالفين من أهل الأهواء والبدع من الخلل والانحراف.

وقفه تأمل ومراجعة:

ومع ذلك فيجب أن نعترف أنه من الطبيعي أن تحدث من بعض المنتسبين للدعوة بعض الأخطاء والتجاوزات والزلات - كما ذكرت أكثر من مرة - التي لا تسلم منها أعمال البشر - وليس معصوم إلا النبي ﷺ (والكمال لله وحده سبحانه) لكن هذه الأخطاء ليست هي المنهج الذي تسير عليه الدعوة لأنها تنطلق في الإسلام نفسه، وتسير على السنة، والإسلام والسنة هما دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومعلوم أن كل أمة، وكل مبدأ، وكل نظام إنما يكون الحكم له أو عليه من خلال أصوله وقواعده ومناهجه ونظمه وجملة الواقع الذي يعيشه أتباعه، لا بما يند عن ذلك من أقوال أو أفعال أو أحكام تخرج عن الأصل.

الجوانب الدعوية في حياة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

من أهم الجوانب الدعوية في حياة المجدد :-

١- الاتصال بولاية الأمر ودعوتهم :-

منذ بدأ الشيخ دعوته في العيينة لم يجعل بينه وبين الأمراء حاجزا يمنعه من الوصول إليهم وتبليغهم دين الله ، وقد حصل الشيخ مراده عندما استجاب له أمير العيينة عثمان بن معمر ، ولما تغير عليه انتقل الشيخ بدعوته إلى أمير الدرعية محمد بن سعود الذي وفقه الله لقبول هذه الدعوة وحماية قائدها .

٢- توزيع المسئوليات :-

لم يستأثر الشيخ في إدارة الدعوة بجميع الأدوار لمعرفة بأن الدعوة جهد جماعي يجب أن تتضافر فيه الجهود ويجتمع على القيام به ذوو التخصصات المختلفة ، ولذا كان الشيخ يرسل بعض طلابه إلى أهل المناطق لتعليمهم أو لمناظرة المخالفين ، كما أرسل مجموعة من الطلبة ليقوموا بدعوة بعض المخالفين ومذاكرته وتوضيح التوحيد له وكان يعين الأمراء ، ويدعو الوفود للالتقاء بهم وتذكيرهم بواجبهم .

٣- تنظيم الأوقات :-

كانت دعوة الشيخ وحياته تسير بانضباط لتحقيق أقصى الثمرات بأقل جهد ووقت ممكن ، ولذا كان الشيخ ينظم أوقاته بين إلقاء الدروس والتأليف ومراسلة السائلين وكتابة الفتاوى ، وفي الليل كان هناك وقت للعبادة والتهجد .

٤- التدرج في الدعوة والإنكار :-

لا يخفى أن قبول الناس لأي دعوة لا يمكن أن يتم دفعة واحدة ، بل يؤخذ جرعات حتى يستسيغ الناس ذلك ويقبلوه ، وهذا مما طبعت عليه النفوس لا يشد عنه إلا نزر يسير من البشر ، ولذا كان الشيخ يكتفي بالإنكار على الناس عندما يراهم ، حول قبة زيد بن الخطاب بقوله : الله خير من زيد ، ولكنه - رحمه الله - لما وجد قبولا من أمير العيينة شجعه ذلك على أن ينكر على أهل القبور شركهم وبدعهم باليد ، بعد أن أخذ الإذن من عثمان بن معمر بخدمها ، بل انه أصر على أن يصحبه الأمير عثمان بنفسه لخدمها .

٥- التخطيط للدعوة :-

التخطيط لأي أمر جوهر النجاح له- وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطط لدعوته ونشر دين الله في الأرض وعلى منهجه سار المصلحون في الأرض ، لقد كان الشيخ المحدد يخطط للدعوة بطريقة فذة ، ويظهر ذلك في ميادين كثيرة ، منها : انه لما أراد قطع شجرة الذيب خرج إليها بنفسه سرا يريد قطعها ، إذ أن قطعها علانية له آثار سلبية على الدعوة والداعية لا تحمد عقبائها ، ومنها: مراعاة أحوال المدعوين ، فللعامة كتب ورسائل وللعلماء وطلبة العلم كتب أخرى مناسبة لهم .

٦- مشاركته الفاعلة في أمور الدولة :-

لم يكن الشيخ أستاذا في جامعة أو محاضرا في مسجد أو داعية بين الجمهور فقط ، بل كان _ رحمه الله _ يمارس الإصلاح الاجتماعي ، والتوجيه السياسي ، والإدارة بكل صورها وإبعاها ، لقد كان- رحمه الله - يعين الأمراء أحيانا ، وربما ذهب بنفسه لحل بعض المشاكل في المناطق المجاورة ، ويتولى قسمة الأموال ويختار القضاة ويرسل الدعاة

٧- توظيف التأليف لخدمة الدعوة :-

تكاد تكون مؤلفات الشيخ كلها في خدمة دعوته ولم تكن بمنأى عنها ، وما كان الشيخ يكتب ويؤلف ترفا فكريا أو ليثري المكتبة الإسلامية أو ليزيد من أعداد المؤلفات ، لكنه كان يؤلف ليعد ويصلح ، وتكون مؤلفاته رافدا عظيما من روافد انتشار الدعوة ، ولذا كتب لتلك المؤلفات البقاء ، وسارت مسير الشمس ، وشرقت بها الركبان وغربت ، وكثرت شروحيها ، وعظم انتفاع الخلق بها ، ولم تقتصر مؤلفاته على التأصيل لجوانب علمية بحتة لا يفهمها إلا طلاب العلم وشرارة المعرفة بل كتب حتى لعامة الناس وخطباء المساجد ومصلحي المدارس .

٨- محو الأمية الدينية :-

جاء الشيخ في وقت تكاد معالم الإسلام فيه أن تندر ، وحل بالمسلمين زمان عاد فيه كثير منهم على أفعال الجاهلية ، ونسيت معالم الدين وأركانه ، فقام الشيخ ، رحمه الله - بجهد عظيم في هذا الباب قل من يتفطن له من الدعاة ، وهو محو الأمية الدينية في المجتمع ، وكان هذا المشروع الجبار من أبرز مشاريع الشيخ العملية ، حيث كتب الشيخ بعض مؤلفاته لخدمة هذا الجانب كالأصول الثلاثة والقواعد الأربع ، وتلقين أصول العقيدة للعامة ، وثلاث مسائل يجب تعلمها على كل مسلم ومسلمة ؛ لتدرس للعامة من رجال ونساء وبادية وحاضرة ، وتقرأ عليهم في مساجدهم ، ويرددها الدعاة والأئمة عليهم صباح مساء ، يطالبونهم بحفظها كل يوم بعد صلاة الفجر ، حتى صار

العامة من أتباع الشيخ خيرا من بعض العلماء في مناطق أخرى لمعرفتهم بأصول الدين وحفظهم لها واستمسكهم بها وإدراكهم التام لها .

٩- المراسلة :-

كان الشيخ يرسل المدعويين ، سواء كانوا من طبقة العلماء أو طلاب العلم أو الأمراء أو الأعيان أو عموم الناس ، وكان الشيخ يدرك ما لهذه الوسيلة من أثر بالغ في مخاطبة المدعو والوصول إلى عقله وقلبه ، وتحريك عوامل التأثير في نفسه ، وكانت أحيانا جواباً لخطاب أرسل إليه أو دفعاً لشبهة ، أو حلا لمعضلة أو دعوة مباشرة ، أو إيضاحاً لحقيقة ما يدعو إليه وإزالة الغبش الذي يطرح حوله ، وغالب تلك الرسائل كان بعد المعاهدة المشهورة التي وقعت بينه وبين الإمام محمد بن سعود ، وكان - رحمه الله - يطلب أحيانا من بعض الشخصيات المهمة التعليق على رسائله أو تقريرها ليكون سببا لقبولها ، وكان يأمر بنسخ بعض رسائله المهمة لتبعث إلى الأقطار لقراءتها على الناس ، وقد بلغت رسائل الشيخ الشخصية ستا وستين رسالة ضمنها الكثير من الأساليب والمضامين الدعوية المهمة .

١٠- الدعوة الفردية :-

وهي الدعوة الموجهة إلى فرد بعينه يستعمل فيها الداعية عددا من الأساليب والوسائل للتأثير عليه ، وهذا النوع من الدعوات من أنفع الأساليب في التأثير على المدعويين وكسبهم وإقناعهم وإزالة الحواجز الوهمية بينهم وبين الداعية ، وتحتاج من الداعية إلى مخالطة المدعو والتعرف على أحواله وأخلاقه ، وقد مكان المجدد _ رحمه الله - يمارس هذا الدور بقوة وكسب عن طريقه أنصاراً كان لهم أعظم الأثر في نشر الدعوة ومن ذلك :

لما قام الشيخ بترك حريملاء قاصدا العيينة نزل على أميرها عثمان بن معمر وعرض عليه دعوته ونصرتة ، ووعده بالعز والتمكين إن هو نصر دين الله ، وقبل ابن معمر ذلك ونصر الدعوة ، إلا أن تهديدات أمير الأحساء خوفته ، ولذا قام الإمام بزيارة ابن معمر ووعظه وذكره بالله ، ودعا مرة أحد المدعويين لزيارته ، وأخبره أن الأمر إن كان شاقاً عليه فإن الإمام سيتوجه إليه ويزوره بنفسه ، بل - كان رحمه الله - يدعو مخالفيه إلى الجلوس معه للمناقشة وإزالة الإشكال .

١١- الفتاوى :-

لم يكن الشيخ داعية محنكا فحسب ، ولكن كان عالما متضلعا من فنون الشريعة متأهلا للفتيا ، رحل في طلب العلم ولقي المشايخ الكبار وقرأ الأمهات وحصل المطولات ، ولذا تلقى الناس فتاواه بالقبول ، وراسلوه طلبا للإجابة عن أسئلتهم ، وقد استثمر الشيخ هذا الجانب في نشر دعوته وبيانها وإزالة اللبس عنها وكان لبعض فتاواه اثر كبير في هداية بعض المدعويين واستبانة الحق لهم بعد أن أثارت جدلا واسعا في المجتمع وقوبلت بتأييد ورد عريضين ، ومن ذلك انه لما كان في العيينة أفتى بكفر بعض الطواغيت الذين زينوا لناس أن يصرفوا لأشخاصهم بعض العبادة التي لا تكون إلا لله ، فأشكل الأمر على بعض علماء الدرعية وأئمة المساجد فيها فأرسل لهم الشيخ رسالة يوضح لهم فيها حقيقة القضية ويبين الأدلة الشرعية للفتوى ، وكانت هذه الفتوى سببا في هداية الكثير من الناس واستبانتهم للحق ، ولم يكن ممن يتعصبون لآرائهم أو ينقصون علماء الإسلام في فتاواهم ، بل كان متواضعا يخضع للحق ويعلم على الملأ قبوله متى استبان ، ويقول : فإذا أفتيت أو علمت بشيء وعلمتم أنني مخطئ وجب عليكم تبين الحق لأخيك المسلم".

١٢ - الموعظة :

لاشك أن المواعظ سيات القلوب تحرك الكسلان وتوقظ الغافل وتنبه المهمل ، ولذا نجد الشيخ - رحمه الله - لا يكتفي بذكر الأدلة والبراهين على صحة الدعوة ، بل إذا وجد من يعرف الحكم ولم ينقل له ذكره بالجنة والنار والقبر وعذابه ، ورهبة الوقوف بين يدي الله جل وعلا ، يقول لأحد المدعويين : " فتضرع إلى الله بقلب حاضر خصوصا في الأسحار أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلاً ، وفر بدينك فإن الجنة والنار قدام ، والله المستعان " ويجذر أحدهم من معاونة المشركين لأجل تنمية المال قائلاً له في رسالته إليه : " فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى (أي يساوي) بضیعة (تصغير بضاعة) .

١٣ - الإغلاظ بالقول :

عندما لا تنفع الملاينة ولا تجدي البراهين فإنه قد تنفع الغلظة بالقول مع مراعاة حدود الشرع وإدراك العواقب ، ولذا قال موسى لفرعون : { قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً } وقد أغلظ الشيخ بالقول لأقوام بعد أن استنفذ كافة الأساليب اللينة معهم فقال : وأنت لا تعلمني على هذا الكلام ، ترابي استدعيته أولاً بالملاطفة ، وصبرت منه على أشياء عظيمة ، والآن أشرفت منه على أمور ما ظننتها "

١٤ - التهديد والتخويف :-

وهو آخر دواء يستنفذه الداعية عندما لا تجدي كافة الوسائل مع المدعو ، ولا شك أن بعض النفوس قد لا ينفع معها إلا هذا الأسلوب من الإنكار ، وقد خاطب الإمام مرة أحد خصومه الذي ظهر له أنهم يعادونه عنادا بعد قيام الحجة عليهم ، فيقول الشيخ مهدداً متوعداً إن لم يتوبا إلى الله ويكف عن محاربة دينه فإنه يفتي بعدم الصلاة خلفهما ، وعدم قبول شهادتهما ، ووجوب عداوتهما ، بل إنه دعا إلى مباهلة بعض مخالفيه تهديداً لهم وبيانا بأنهم مبطلون وإعلاماً باستيقان الشيخ لما يدعو إليه ، فقال : " وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع :
إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما إلى إجماع أهل العلم ، فإن عاند دعوته إلى المباهلة ، كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض .

١٥ - الحوار والمناظرة :-

قال تعالى : { وجادلهم بالتي هي أحسن } وقد حير الشيخ خصومه عندما استخدم هذه الوسيلة لما أوتيه من قوة حجة وسعة علو ودعوة حق وحدة ذكاء ، وكان يناظر الإنسان بمذهبه إن كان شافعيًا فبكلام الشافعية أو مالكيًا فبكلامهم ، وهكذا .

وكان - رحمه الله - من شدة تمرسه يواجه الخصم بحججه ، ويضرب أقوال الخصوم بعضها ببعض ، وكان ينكر على من يجيد عن الموضوع حال المناظرة ويعرض بالذين يتهربون عن المواجهة ، وكان يعلن أنه يقبل الحق متى استبان له ، فليس جداله عن عصبية أو إثبات ذات أو لتعجيز خصم وإحراجه .

١٦ - التجرد ونشدان الحق :-

كان الشيخ - رحمه الله - لا يتعصب لقول أحد كائناً من كان إلا قول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول - رحمه الله - : " ولست - والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين

أعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ."

ولا يخفى أن المدعو يتأثر كثيرا بمن ينشد الحق ، ويسعى لطلبه ولا ينافح عن قول احد لكونه معظما عنده ، ولا يطلب شيئا لنفسه من محمدة أو جاه أو مال أو غير ذلك من مكاسب الدنيا ومراتبها ، ولذا كان الأنبياء يصرحون لأممهم بأنهم لا يسألونهم على دعوتهم أجرا ، قال الله تعالى _ عن هود: " يقوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون " ومثل ذلك ورد عن صالح وإبراهيم وخيرهم من أنبياء الله _ صلوات الله وسلامه عليهم .

١٧- رد الشبهات والإجابة عليها :-

لم يدعو الشيخ - رحمه الله - الشبهات تعبت في قلوب الناس وتفسد عقولهم ، فكان يرد على الشبهة أو الشبه ، سواء أرسلت إليه أو سمعها أو كان يتوقع أن يقولها خصومه ، ولذا كانت للشيخ مبادرات في رد الشبه قبل فشوها للدعوة والمدعوين من التأثير بها ، وكان رد الشيخ يتسم بالوضوح وعدم التعقيد فيستفيد منه العامي وطالب العلم وغيرهما ، كما يقسم بالأصالة حيث يدفع الشبهة بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ لا بزخارف وتمنيق الكلام ، ولعل أوضح مثال على ذلك كتابه { كشف الشبهات } ، وكتاب { مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد } .

١٨- استشراف المستقبل :-

هذا لون من التخطيط لمستقبل الدعوة ، حين يقوم الداعية بدراسة الأوضاع الراهنة فيضع بدائل متعددة يقابل بها أي طارئ يستجد على صعيد الصراع بين الحق والباطل ، ولعل من أجل الأمثلة على ذلك وأوضحها ، عقد صلوات مع بعض أهل الدرعية قبل أن يفارق العيينة أو يطرد منها فكانت له صلة مع آل سويلم واثنين من إخوة محمد بن سعود وهما ثنيان ومشاري بل إن كتاب تفسير سورة الفاتحة كتبه الشيخ حين كان في العيينة بناء على طلب ابن أمير الدرعية آنذاك وهو عبد العزيز بن محمد آل سعود .

١٩- هجر المكان الذي لا يقبل الدعوة :-

إن هجر الداعية للمكان الذي رفض الدعوة أو تردد في قبولها ولم يعرهما اهتماما والبحث عن مكان آمن يستقبل الدعوة ويهيئ الجو المناسب لانتشارها ، ولذا خرج الشيخ من حرملاء إلى العيينة لأن بعض أهلها هموا بالاعتداء عليه ولأن أمير العيينة تأثر بدعوة الشيخ وقبلها . فكانت الفرصة مناسبة للانتقال لأن المقصود نشر الدعوة وقيامها وهجر الأوطان من أشق الأمور على النفوس وأصعبها لكن الذي يحمل هم إصلاح الخلق ورفع راية الحق لا يبالي أي أرض حل مادامت مصلحة الدعوة تقتضي ذلك ، ولما حصل التهديد لأمر العيينة حول الشيخ وأمره بالخروج منها خرج إلى الدرعية طالبا الملاذ الآمن له ولدعوته لعل الله أن يجعل ذلك سبب انتشار الدين ورفع أمره .

٢٠- مراعاة أحوال المدعويين :-

إن مراعاة حال المدعو ضرورة تتوقف عليها نجاحات الداعية ، والفرق بين الداعية وغيره أن الداعية يتبع الحكمة ويراعي المدعو لعله يوافق من قلبه قبولاً ومن ذهنه فهماً ومن عاطفته ميلاً واستجابة ، ولذا كان تعامل الشيخ مع المدعويين مختلفاً حسب أحوالهم وظروفهم ومستويات تفكيرهم ومناصبهم ومن تأمل كتب ورسائله الشيخ وجد ذلك جلياً ظاهراً حتى إنه ليكتب بعض عباراته بالعامية لتحقيق هدفه ومراعاته لمدعويه كما في كتاب تلقين أصول العقيدة للعامية ولما خرج إلى الدرعية وتعاقد مع محمد بن سعود راعي جانب السلطة والإمارة عنده فلم ينازعه إياها أو يدعي لنفسه ما يدعو الأمير إلى التلكؤ والرد بل حفظ للمدعو حقه ومكانته ومن قرأ خطب الشيخ وجد هذا المعنى في خطبه من مراعاة أحوال المدعويين ، ورسائله رحمه الله يختلف أسلوبها باختلاف المدعو .

منهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة تفصيلاً واقتفاؤها عقيدة السلف الصالح

التزامهم منهج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ومجانبة الفرق المفارقة:

لقد التزم الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة وسائر أتباعها منهج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة اعتقاداً وقولاً وعملاً، وصرح الإمام بذلك فقال: « أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أي أعتمد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ».

ثم ذكر الاعتقاد مفصلاً وقال: « والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج »^(١).

١ - قولهم في الإيمان.

وقولهم في الإيمان وأركانه وحقيقته ومسائله قول السلف الصالح أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً إذ يؤمنون بأركان الإيمان الستة كما جاءت في حديث جبريل، وكذلك يقولون بقول السلف في حقيقة الإيمان ومسائله فيعتقدون أن الإيمان قول وعمل، (اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح) وأنه شعب يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأنه يجوز الاستثناء في الإيمان.

٢ - عقيدتهم في الله تعالى وأسمائه وصفاته.

إن عقيدة من يسميهم الخصوم (الوهابية) في أسماء الله وصفاته وأفعاله غيرها، هي: عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأهل الحديث وسائر أئمة الدين المعترين.

ففي أسماء الله تعالى وصفاته، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: « ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله - ﷻ - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سمي له ولا كفاء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيباً وأحسن حديثاً، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل .

وقد بين الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب مذهب السلف الصالح في كتابه (جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية) قائلاً: « مذهب السلف الصالح رحمهم الله: إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، وعلى هذا مضى السلف كلهم،

دفع فرية التشبيه والتحسيم عنهم⁽¹⁾.

لقد رمى خصوم الدعوة إمامها وأتباعها وأهل السنة جميعاً بفرية عظيمة وداهية كبرى هي وصفهم بأنهم في أسماء الله وصفاته (مجسمة).

ولكنّ النقول والنصوص السابقة تثبت أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وسائر علماء الدعوة السلفية بريئون مما رماهم به خصومهم أهل البدع من أنهم مجسمة ومشبهة، والحق أنهم كانوا على سبيل المؤمنين، وهو منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، كما هو كذلك في كل أصول الدين.

إن المنهج والأسلوب الذي سلكه المخالفون أهل الأهواء والبدع من خصوم السنة المعاصرين في اتهام الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدعوة السلفية وأتباعهم، هو نفسه المنهج والأسلوب الذي سلكه خصوم السلف الصالح أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع والافتراق في كل زمان.

ومنذ أن نشأت بدع الجهمية والمعتزلة وسائر أهل الكلام المعطلة والمؤولة، ومقالاتهم البدعية التي ينفون بها أسماء الله وصفاته ويؤولونها أو بعضها نشأت معها دعوى أن إثبات الأسماء والصفات لله تعالى أو بعضها نوع من التحسيم والتشبيه. ومن أجل ذلك سموا من يثبت أسماء الله وصفاته كما جاءت في القرآن وصحيح السنة، مجسماً ومشبهاً ونحو ذلك.

ومن هنا فإن وصف أهل السنة والجماعة، السلف الصالح بأنهم مجسمة ومشبهة ظهر في أوائل القرن الثاني الهجري على لسان طلائع تلك الفرق الكلامية.

وقد أعلن الإمام محمد بن عبد الوهاب ما يرد هذه الفرية، بقوله السابق ذكره ومنه: « ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله - ﷻ -: ليس كمثلته

(1) يرجع لهذه التشبيه لاحقاً لان فيها الرد على هذه الشبهة .

شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سمي له، ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه «^(١)».

وساق الإمام مذهب السلف الصالح، أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته؛ على أنه اعتقاده، فكيف يرمونه ويرمون سائر سلف الأمة بالتجسيم؟! نعم لأن أهل البدع والأهواء يزعمون أن الإثبات الحق تجسيماً والمثبت عندهم: مجسماً، والله حسبنا ونعم الوكيل.

وقد أنكر الإمام محمد بن عبد الوهاب نفسه، هذه الشبهة وبين أن أهل الكلام والبدع يسمون طريقة الرسول والسلف الصالح في إثبات صفات الله تعالى تشبيهاً وتجيماً، فيقول: «ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم، وأعظمهم جاهاً، ولو اتبعه أكثر الناس، وما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين، و صفات الله تعالى، وغالب من يدعي المعرفة، وما عليه المخالفون المتكلمون، وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشواً وتشبيهاً وتجيماً، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام - مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل - تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه.

وهم معترفون: أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، معترفون: أنهم مخالفون للسلف في ذلك».

٣ - عقيدتهم في القرآن:

وكذلك عقيدتهم في القرآن لا تخرج عما أجمع عليه السلف الصالح.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن:

«ونعتقد: أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وسمعه جبرائيل من الباري سبحانه، ونزل به على رسول الله ﷺ، ولا نقول بقول الأشاعرة، ولا غيرهم، من أهل البدع».

٤ - عقيدتهم في الملائكة والكتب والرسل :

وكذلك عقيدتهم في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل جملة وتفصيلاً كما جاءت بها النصوص وهذه الأصول الثلاثة لم يرد عليهم فيها مزاعم تذكر من خصومهم ولذلك لا نحتاج إلى الوقف عندها طويلاً، ونكتفي بما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب « أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرق الناجية أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.. ».

٥ - عقيدتهم في رسول الله ﷺ وحقوقه وخصائصه:

أهل السنة والجماعة -السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان- ومنهم الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه -هم أولى الناس برسول الله ﷺ لأنهم هم الذين يحبونه حق المحبة، ويوقرونه حق التوقير، فهم الذين اتبعوا سنته، والتزموا ما كان عليه ﷺ هو وأصحابه، وأخذوا بوصيته بالتزام السنة والجماعة، والحذر من الفرقة والبدع ومحدثات الأمور، ولا يزالون على الحق والسنة، ظاهرين بحمد الله وسعوا إلى نيل أسنى المطالب وهي محبة الله تعالى ورضاه التي لا تدرك إلا بمحبة الرسول ﷺ وأتباعه فالإمام محمد بن عبد الوهاب -وهو أحد أئمة السنة- وأتباعه وسائر أهل السنة اليوم -وقبل وبعد- إنما هم على أثر السلف الصالح، في تحقيق ما أمر الله به من الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته وتوقيره واتباع سنته والدعوة إليها وحماية حقوقه ﷺ، وحقوق آله وصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين والإيمان كشفاعته وحوضه.

وأنه ﷺ أفضل الخلق أجمعين، وخاتم النبيين والمرسلين.

وأن من توقيره وتعظيمه ألا يرفع إلى مقام الربوبية والألوهية ونحوها مما هو من خصائص الرب ﷻ.

فالذين اتهموا الإمام وأتباعه ويسمونهم (الوهابية) بأنهم ينتقصون من حق النبي ﷺ أو يبعثونه، أو ينكرون شيئاً من فضائله أو حقوقه، ونحو ذلك من المزاعم.

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

« والذي نعتقده: أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره، حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسبب زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس^(١)، ومن أنفق نفيس أوقاته، بالاشتغال بالصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام- الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكفى همه وغمه، كما جاء في الحديث عنه ».

رد مزاعم الخصوم في أن الإمام وأتباعه ينتقصون حق النبي ﷺ :

من أعظم التلبيس الذي سلكه خصوم الإمام (خصوم السنة) وهم أهل البدع والأهواء والافتراق رميهم الإمام وعموم أهل السنة بأنهم لا يحبون النبي ﷺ وأنهم ينتقصونه وذلك لأن أهل السنة لا يرفعون النبي ﷺ إلى مقام الربوبية والألوهية، ولا يطرونه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، وأهل البدع يطرونه ويزعمون أن من لم يفعل ذلك فإنه لا يحب النبي ﷺ وأنه ينتقصه، وهذا من التلبيس والبهتان، ومن إغواء الشيطان حيث دخل عليهم من باب التنطع والإطراء.

ولخطورة هذه الافتراءات ورواجها بين الذين يجهلون الحقيقة وينساقون وراء تضليلات الخصوم والمعرضين والحاسدين، دون تثبت ولا روية ولا تبصر، أسوق مزيداً من الأقوال والنقول التي تكشف زيف هؤلاء الخصوم ويتبين الحق لمن يريد:

فإن خصوم الإمام وهم خصوم السنة وأهلها من أهل الأهواء والافتراق والبدع ومن شايعهم سلكوا مسلك الكذب والافتراء في كثير من الأحيان، وأحياناً أخرى مسلك التلبيس والتمويه، فمن ذلك:

قول أحدهم: « أنه (يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب) أحرق دلائل الخيرات لأجل قول سيدنا ومولانا » وأنه قال: « الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وليتها هي بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار »^(٢)، وأن « تعظيم الرسول ﷺ شرك » ، وزعموا أنه قال « لو أقدر على حجرة الرسول ﷺ هدمتها » وأنه « يحرم زيارة قبر النبي ﷺ ».

(١) وهم بهذا يقرون بمشروعية زيارة قبر النبي ﷺ خلاف ما يزعونه خصومهم عنهم لكنهم لا يرون مشروعية شد الرحال لذلك مستدلين بحديث: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » الحديث، رواه البخاري (١٨٦٤)، ومسلم (٣٣٨٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

وهذا كله كذب صريح وقد تبرأ منه الإمام نفسه وقال بعد أن ساق هذه المفتريات وغيرها « سبحانك هذا بهتان عظيم » وفي مقام آخر قال في هذه المزاعم ونحوها « فكل هذا كذب وبهتان مما افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل... ».

وقد قال في رده على أحد الذين بهتوه بانتقاص النبي ﷺ : « سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت محمد ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور... ».

وقال في رد مقولة أنه ينهى عن الصلاة عن النبي ﷺ : « وأما إحراقها (يعني كتاب دلائل الخيرات) والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان، فنسبة هذا إليّ من الزور والبهتان ».

ويقول صاحب كتاب (المقالات الوفية) مفترياً على الإمام: « وكذا تنقيصه الرسل والأنبياء وهدم قببهم... ومنعه من قراءة خبر مولد النبي ﷺ ، وضرب رقاب من يناجي في المنارة للصلاة على النبي ﷺ »، وهذا من الكذب والتلبيس على الإمام محمد وأتباعه، أما القَبَاب فهي من البدع التي جاء النهي الصريح عنها في السنة وفي هدمها إزالة للبدع، وكذلك قراءة خبر مولد النبي ﷺ والنداء بالصلاة على النبي ﷺ على نحو ما يفعله المبتدعة من المحدثات والبدع.

ويقول صاحب كتاب (تبيين الحق والصواب) عن أتباع الإمام محمد بن عبد الوهاب: « ومما يدل على استنقاصهم واستخفافهم لقدر نبينا محمد ﷺ هذه اللفظة المجردة عن الأدب والحياء وهي (محمد لا يعلم الغيب). ونقول له: إنه ليس من تعظيم النبي ﷺ أن ندعي له شيئاً من خصائص الرب تعالى وهو علم الغيب، فهو لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله إياه .

دفع فرية التلويح بدعوى النبوة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب:

وبعد عرض ما كان عليه أهل السنة من تعظيم مقام النبي ﷺ ورفع مكانته التي فضله الله بها. يحسن الوقوف عند تهمة مكشوفة، وكذبة ظاهرة لُجِز بها الإمام محمد بن عبد الوهاب من قبل بعض أهل الأهواء والبدع والافتراق وهي تلکم التهمة الصلعاء التي آثارها بعض خصوم الإمام محمد بن عبد الوهاب حين زعموا أنه يلوّح حول دعوى النبوة، بل زعم بعضهم أنه يدعيها!! ، وهذه فرية شنيعة وبهتان عظيم.

فإنه في حين لا نجد في منهج الإمام وآثاره وأعماله ما يشير إلى شيء من ذلك -أي دعوى النبوة- فإن العكس هو الواقع المحتتم، إذ أن الإمام أكد في عقيدته ودروسه وشروحه ورسائله وخطبه ومؤلفاته عقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ وأن خلاف ذلك كفر يجب قتل مدَّعيها ومن يصدقه.

قال فيما يجب على كل مسلم بعد أن ذكر الحقوق الواجبة على المسلم:

« وأعظمها حق النبي ﷺ، وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله، وأنه خاتم النبيين وتعلم أنك لو ترفع أحداً من الصحابة في منزلة النبوة صرت كافراً ».

وقال: « وأؤمن بان نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته »
ومن علامات الافتراء والخذلان لمروحي هذه الفرية أن أول من رَوَّجها، وأكثر الذي تابعوه، زعموا أنه (الإمام محمد بن عبد الوهاب) ادعى النبوة بلسان حاله، وأنه كان يُضمّر دعوى النبوة في قلبه!.

وهذه حيلة العاجز المهزوم إذ كيف اطلعوا على ما في القلوب مما لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى، مع أن الحقيقة الثابتة أنه قال وأعلن الحق بدليله، ثم ما القرائن التي دلت بلسان الحال على هذه الفرية؟ لم يذكروا شيئاً.
ولما شاع هذا البهتان العظيم، ورَوَّجه الخصوم من أهل الأهواء والبدع والافتراق الذين يكرهون السنة وأهلها، وتلقفته ألسنة الغوغاء والهمج، من أتباع الفرق والطرق - تصدى له علماء السنة في بلاد الشيخ الإمام وغيرها من سائر بلاد المسلمين، ممن شهدوا بالحق، وأنصفوا الخلق.

٦- عقيدتهم في شفاعة النبي ﷺ.

وعقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كسائر السلف الصالح أهل السنة والجماعة في شفاعة النبي ﷺ، فيثبتون كل ما صح من شفاعاته ﷺ كالشفاعة العظمى، والمقام المحمود، وشفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغيرها.
يقول الإمام محمد: « وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب،

وهذا ينفي المزاعم والمفتريات التي زعمها خصومهم بأنهم ينكرون شفاعة النبي ﷺ.

وقال في الرد على الذين يزعمون أنه وسائر أهل السنة ينكرون شفاعة النبي « ثم بعد هذا يذكر لنا: أن عدوان الإسلام، الذين ينفرون الناس عنه، يزعمون أننا نكفر شفاعة الرسول ﷺ فنقول: سبحانه هذا بهتان عظيم، بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع، صاحب المقام المحمود، نسأل الكريم رب العرش العظيم: أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه ». »

٧ - عقيدتهم في آل بيت رسول الله ﷺ.

وكذلك عقيدتهم في آل بيت رسول الله لا تخرج عما أوصى به النبي ﷺ وما كان عليه السلف الصالح من محبة آل البيت ومودتهم ورعاية حقوقهم.

كل ذلك على المنهج الشرعي؛ بلا تقصير كما فعلت الخوارج الناصبة ومن وافقهم، ولا غلو كما فعلت الرافضة ومن سلك سبيلهم، فليس من حق آل البيت الغلو فيهم، ولا اعتقاد قداستهم، ولا عصمتهم.

ورعاية حقوق آل بيت رسول الله ﷺ مشروطة بشروطها وهي استقامتهم على منهاج النبوة، أما من خرج عن الحق والسبيل فلا حق له.

يقول الشيخ الإمام في حق أحد الأشراف ومبيناً خطأ الذين أنكروا هذا الحق.

« وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوقاً فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ما أنكروا إلا إكرامهم لأجل ادعاء الألوهية فيهم أو إكرام المدعي لذلك »

٨ - عقيدتهم في الصحابة:

والإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه عقيدتهم في الصحابة لا تخرج عن عقيدة سائر أهل السنة والسلف الصالح جملة وتفصيلاً، والمتأمل لمزاعم أهل البدع خُصُوم السنة يجد أنهم مع كثرة شبهاتهم على الدعوة وأهلها، لم يكن لهم دعاوى حول عقيدتهم في الصحابة إلا نادراً. ولذا أوجزت الحديث عن عقيدتهم في الصحابة. يقول الإمام محمد:

« وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة - ﷺ - وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء ». »

وسئل أبناء الإمام، وحمد بن ناصر -رحمهم الله- عن مذهبهم في الصحابة -ﷺ-؟

فأجابوا: « مذهبنا في الصحابة، هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ وهو: أن أفضلهم بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر، وأفضلهم بعد أبي بكر: عمر؛ وأفضلهم بعد عمر: عثمان؛ وأفضلهم بعد عثمان: علي -ﷺ-. ومنزلتهم في الخلافة، كمنزلتهم في الفضل؛ وقد نازع بعض أهل السنة، في أفضلية عثمان على علي؛ فحزم قوم بتفضيل علي على عثمان؛ ولكن الذي عليه الأئمة الأربعة، وأتباعهم، هو: الأول».

٩ - عقيدتهم في الشفاعة عموماً:

وكذلك في الشفاعة عموماً، فإنهم يثبتون من الشفاعات ما جاء به الشرع وثبت بالنص.

يقول الإمام محمد: « وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ».

وقال: « والشفاعة: شفاعتان؛ شفاعاة: منفية؛ وشفاعة مثبتة؛ فالشفاعة المنفية، هي: التي تطلب من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، والمثبتة، هي: التي تطلب من الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ والشافع: مكرم بالشفاعة؛ والمشفوع له: من رضي الله قوله وعمله، بعد الإذن .

ويقول الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن: « ونؤمن: بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع، وأول مشفع؛ ولا ينكرها إلا مبتدع ضال، وأنها لا تقع إلا بعد الإذن والرضا، وهو سبحانه، لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، قال أبوهريرة -رضي الله عنه-، للنبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: « من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله .

١٠ - عقيدتهم في اليوم الآخر والجنة والنار والرؤية:

ويؤمنون باليوم الآخر وأحواله ومشاهده كما ثبت في النصوص.

قال الإمام: « وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنتشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله »

وقال الإمام: « وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان ». »

١١ - عقيدتهم في الرؤية.

وقال: « وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ». »

عقيدتهم في القدر:

وفي القدر هم على ما كان عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

قال الإمام « وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدييره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدر ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور ». »

١٢ - عقيدتهم في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرون الجهاد من فرائض الدين، وأنه قائم وماض إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ». »، كما يرون الجهاد مع ولاة الأمر أبراراً كانوا أو فجاراً كما سبق بيانه.

قال الإمام: « والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ». »

ويقول الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن: « ونرى الجهاد، مع كل إمام، برأكان، أو فاجراً، منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ». »

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الدين وواجباته عندهم كما جاءت به النصوص.

قال الإمام: « وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة ». »

وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف: « ونرى: وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على كل قادر، بحسب قدرته، واستطاعته؛ بيده، فإن تعذر، فبلسانه، فإن تعذر، فبقلمه، كما في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان. »^(١).

ومن الممكن أن نعلل حيوية دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب واستمراريتها بالأسباب التالية:

١- لأنها كانت تعبر بصدق وإخلاص عن تعاليم الإسلام الحقيقية، كما جاءت من منابعها الأولى في القرآن والسنة، وكما مارسها النبي وصحابته. لذلك دعت إلى تطهير هذه التعاليم من البدع والخرافات التي تسربت إليها من مصادر غريبة فشوهتها وحادت بها عن معانيها الحقيقية.

٢- لأنها كانت أول حركة إسلامية في العصور الحديثة سعت إلى إعادة توحيد المسلمين دينياً وسياسياً بعدما أنهكتهم الخلافات المذهبية الضيقة، الناتجة عن تعصب كل فريق لمذهبه، دون النظر إلى ما في المذاهب الأخرى من أفكار وآراء راجحة.

٣- لأنها ثارت ضد التقليد الذي كان أحد أسباب تخلف المسلمين الفكري وتقهقرهم الحضاري، ونادت بفتح الأبواب بين جميع المذاهب الإسلامية، تشبهاً بالأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الذين دعوا إلى محاربة التقليد بجميع صوره، وإلى أخذ الحقائق من مصادرها أينما وجدت.

وبهذه الثورة ضد مظاهر الجمود والتقليد والتعصب، التي كانت الطابع المميز لمعظم المسلمين في العهد العثماني، كان مؤسس الدعوة، في طليعة الذين عملوا في العصر الحديث لفتح الأبواب بين المذاهب السنية الأربعة التي أغلقها الفقهاء الجامدون منذ القرن الخامس الهجري، وأول من شدد على مبدأ الاجتهاد، واعتبروه واجباً على كل مسلم يستطيعه.

ففي الوقت الذي حارب فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب أي تدخل من جانب العقل في قضايا العقيدة باعتبارها من مصدر إلهي لا يجوز للعقل البشري مسها، فإن دعوته إلى الاجتهاد والثورة على التقليد ردت الاعتبار إلى دور هذا العقل في القضايا الدينية والدينية التي لا نص عليها في القرآن والسنة. فالاجتهاد عمل هام من أعمال العقل في تطور الإسلام ومرونته. وقد وجد فيه زعماء الإصلاح الإسلامي المحدثون السبيل المأمون للتطور والإصلاح الاجتماعي داخل الإسلام نفسه وفي خلود هذا الإسلام في العالم المعاصر وفي المستقبل.

(١) رواه مسلم (٧٨)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

وبهذا الإقرار بمبدأ الاجتهاد الذي يساير التطور في المجتمع البشري، برهنت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل غيرها من الدعوات الإصلاحية الإسلامية الحديثة، على أنه تتوافر في تعاليم الإسلام منذ البداية مرونة تمكن المجتمع الإسلامي من التطور الطبيعي دون إهمال قواعده الأساسية.

٤ - استعانها بقوة سياسية وحرية لتضمن لمبادئها الانتشار والفعالية؛ لأن النظريات المثل العليا لا تستطيع أن تنتصر بقوتها وصدقها فقط، بل بما يؤيدها من قوى سياسية واقتصادية وعسكرية. ومن أجل ذلك اتصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بأمر الدرعية محمد بن سعود، وتعاهد معه على الجهاد، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدعوة في جزيرة العرب، « باللسان عند من يقبلها وبالسيوف عند من لم يقبلها ».

إن أحد أسباب الفشل الذي منيت به الحركات الإصلاحية الإسلامية، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعدها، إنما يرجع إلى عدم توافر هذا المبدأ. وهو دليل على بعد النظر الذي كان يتصف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونصيره الأمير محمد بن سعود. وقد ظل هذا الاتحاد بين القوتين الدينية والسياسية، ينمو ويتفاعل، حتى انبثقت عنه المملكة العربية السعودية التي يزداد حجم تأثيرها الديني والسياسي والاقتصادي على المجتمعين الإسلامي والعربي من ناحية، وعلى المجتمع الدولي وحضارته من ناحية أخرى.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحضارة الغربية تطرح نفسها كمنهج للتطور المادي للشعوب، وتسرّب وسائلها إلى المجتمعات المتخلفة، كانت المملكة العربية السعودية، التي تمسك بالتعاليم الإسلامية بمفهومها الوهابي، في طليعة هذه المجتمعات التي فتحت لها أبوابها واستعانت بما لتطوّر حياة شعبها دون أن يمس ذلك بعقيدتها الدينية أو يتعارض معها ».

* وإن من الحق ما شهدت به الخصوم ومن ذلك ما قاله عن أثر هذه الدعوة، خصمها: عثمان بن سند البصري واختصره عنه أمين بن حسن الحواني:

قال: « ومن محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ومحوها. ومن محاسنهم أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين. ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأهم إخوان أولاد رجل واحد»، ثم قال: « وبهاتين الدسيسيّتين خدعوا جميع العوام يعني بمحو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين وأحبهم سائر الأمم وغفلوا عن باقي معتقداتهم ».

